الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية –
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصِر

الموضوع:

أشكال تصوّر الحياة النفسية
في رواية (اسمي زيزفون) لسوسن جميل حسن

إعداد الطالبتين:

- مرسي منال
- ساسي ثيزيري

إشراف الأستاذ:

د. بن علي لونيس

نوقشت يوم: 2025/06/18

فوضيل عدنان	رئيسا
بن علي لونيس	مشرفا و مقررا
الهادي بوديب	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية: 2024 – 2025

بسمِ اللّه الرحمن الرّحيم

شُكر وتقدير

الحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل وأعاننا على تجاوز الصعوبات التي واجهتنا خلال إعداد هذه المذكرة. نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من ساهم في دعمنا و تشجيعنا خاصة الأساتذة الكرام الذين لم يبخلوا علينا بنصائحهم وتوجيهاتهم القيمة وعلى رأسهم الدكتور "لونيس بن علي". كما نخص بالذكر عائلاتنا الكرام التي كانت سندنا الدائم فبمساندتهم المعنوية و تحفيزهم المستمر. ولا يفوتنا ان نشكر كل من قدم لنا يد العون سواء بكلمة طيبة أو بمعلومة أفادتنا فلكم جميعا منا أسمى عبارات التقدير والامتنان.

إهداء

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا ووفقنا لاستكمال هذا العمل المتواضع الذي لم تكن رحلته سهلة بل كانت مرحلة مليئة بالتحديات. لكن بفضل الله وفقنا في انجازه

لهذا نهدي هذا العمل إلى من غرس فينا حبّ العلم، وسقانا من نبع الحكمة.

إلى والدينا و سندنا في الحياة حفظهما الله ورعاهما.

إلى من كانت دعواتهم النور الذي أضاء طريقنا.

إلى إخوتي وينابيع سعادتي.

الصداقة هي الحياة وجوهرها الوفاء لذلك اهديه إلى صديقاتي "نسرين يحياوي" و"ساعي حنيفة مايسة" اللتان كانتا خير صديقتين ومن شاركتانا التعب والفرح.

إلى أستاذنا الفاضل" لونيس بن علي" من وجهنا وألهمنا، وكان قدوتنا ومثلنا منذ ان دخلنا الجامعة، كان خير أستاذ، لم نشعر يوما بضيق رغم متاعب مهنته. كل التقدير والامتنان لك.

إلى معلمنا الأول الذي علمنا حروفا من ذهب، وعلمنا الكتابة لأول مرة.

إلى كل من ضاقت السطور من ذكرهم فوسعتهم قلوبنا. إليكم جميعا الشكر والتقدير.

نهدي هذا العمل راجيات من الله عزوجل ان يلقى القبول والنجاح.

منال وثيزيري

مقدّمة

مقدمة:

يعد الأدب مرآة عاكسة للعوالم النفسية البشرية، إذ طالما كان النص الأدبي مجالا واسعا لاكتشاف المشاعر والأفكار والصراعات الداخلية التي تعكس أعماق الإنسان. من بين أهم العناصر المركزية التي تجسد هذه التفاعلات النفسية تظهر الشخصية الروائية باعتبارها محورا أساسيا ينهض عليه السرد، فهي الوسيط الذي يترجم التجربة الإنسانية لكل عمقها وتناقضاتها.

لقد أتاح التفاعل بين الأدب وعلم النفس الانفتاح على الشخصية الروائية، حيث بات ينظر إليها ليس فقط كمجرد عنصر فني ضمن آلية السرد، بل ككيان نفسي يحمل في طياته ملامح الاضطراب، والصراع، والنضج، والاغتراب، والآلام، والحزن، والرغبة والأحلام...الخ وهذا ما يعكس الرؤية الأدبية لمكنونات النفس البشرية. وعليه، فإنّ تحليل الشخصية الروائية من منظور نفسي يساهم في الكشف عن الأبعاد النفسية في النص الأدبي.

ومن هنا تبرز أهمية دراسة الشخصية الروائية كمنطلق لفهم التفاعل بين البنية النفسية للشخصية والخطاب الأدبي، فيشكل حضور الشخصية الروائية داخل النص الأدبي انعكاسا عميقا للتجربة الإنسانية بكل ما تحمله من تناقضات وصراعات نفسية.

وانطلاقا من هذه الرؤية، نطرح الإشكالية المركزية التالية:

"كيف صوّرت الرواية الحياة النفسية للشخصية؟"

وبناء على هذه الإشكالية اعتمدنا على الخطة التالية:

يتوزع البحث الفصل النظري الذي يتضمن المحاور الآتية: "تعريف الشخصية"، "نظرية سيجموند فرويد"، "نظرية كارل يونج"، "نظرية كارل روجرز"، "الشخصية ومفهوم الشعور"،"انفصام الشخصية وأمراضها"، " الشخصية والمجتمع"، "التعبير الرمزي عن الخيال"، "الأدب وتيار الوعي"، " تصور الشخصية في تيار الوعي"، "مستويات تيار الوعي"، "أدب تيار الوعي"، "خصائص أدب تيار الوعي"، "المونولوج والخطاب"، "السرد النفسي".

أما في الفصل التطبيقي فقد قدمنا ملخصا للرواية، ثم، ورصدنا أهم الحالات النفسية للشخصية الروائية أهمها:

"سيكولوجية الألم عند الشخصية"، الاسم وأزمة الهوية"، "معاناة ان تكون امرأة"، "قلب ينبض وقبر ينتظر"، "الأحلام بين الرغبة والتحقيق"، "الصمت كوسيلة للتواصل الداخلي".

كما اعتمدنا على أدوات المنهج النفسي، وبعض مفاهيمه لأجل تفكيك العوالم النفسية للشخصية الروائية.

قد يلاحظ القارئ أننا لم نعتمد على الكثير من المصادر والمراجع سعيا منا لفرض صوتنا وأفكارنا وفهمنا، بدلا من إغراق البحث بالاقتباسات الكثيرة، وقد يراه البعض تقصيرا منا لكننا أردنا ان نستثمر المراجع التي اعتمدنا عليها استثمارا جيدا، قراءة وفهما لهذا جاء الفصل التطبيقي بمثابة مختبر لتفسيراتنا وتأويلاتنا.

ونتقدم بالشكر في الأخير للأستاذ المشرف الدكتور "لونيس بن علي" الذي اطر البحث بتوجيهاته وملاحظاته، فكان لنا خير سند لنا طيلة هذه المغامرة المعرفية.

الفصل الأوّل

تحديد المفاهيم

1-تعريف الشخصية:

يُعتبر مفهوم (الشخصية) محوراً أساسيا عند العديد من الباحثين في (علم النفس)، فقدّموا العديد من التعريفات العلمية المُختلفة، بهدف اكتشاف أبعاده، من خلال آليات علمية.

ومن بين التعريفات أنها المجموع الكلي للعوامل الداخلية والخارجية التي يتشكل من خلالها الفرد، فهي تضم استعداداته الفطرية وميوله ونزعاته وشهواته إلى جانب الاستعدادات والميول التي يكتسبها من بيئته.

حيث تعتبر البيئة الاجتماعية من المعايير التي تحدد فاعلية الشخصية في الوجود، من خلال آلية (التكيف).

فالشخصية، بهذا المعنى، هي (بنية ديناميكية) داخلية، حيث تتفاعل وتتحدد فيها الأجهزة العضوية والنفسية بطريقة منظمة مما يحدد السلوك والأفكار التي تميز الفرد عن غيره.

كما أنها ليست مجرد مجموعة من الصفات الثابتة بل هي متغيرة ومتطورة تتأثر بالعوامل البيولوجية والنفسية والاجتماعية، مما يجعل لكل فرد طابعه الخاص في طريقة تفكيره وتصرفه، حيث يركز علم النفس بشكل أساسي على المثيرات الخارجية باعتبارها عوامل تحدد السلوك المباشر في حين أن سيكولوجيا الشخصية تولي اهتماما أكبر للصفات الداخلية الثابتة التي تؤثر في تصرفات الفرد واستجابته.بهذا المعنى فـ((الشخصية هي القيمة الأرفع للإنسان)).[1]

على صعيد الفلسفة، يكون التعامل مع الشخصية كغاية وليست مجرد وسيلة تحقق أهداف الآخرين. بل أنّ هدف الفرد هو تحقيق الوحدة، حيث

[1]) - توما جورج خوري، نظرة في أعماق الشخصية، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، ط01، 2010، ص32.

قال (ستيرن) أنّ ((الشخصية وحدة زخمية متعددة الصيغ، ولا يبلغ الفرد الكمال في تحقيق تلك الوحدة، لكنه يهدف إليه دوما)).[2]

فمن خلال ما تقدّم من تعريفات، فالشخصية ليست مجرد وجود نفسي أو عصبي بحت، بل هي تكامل بين هذين الجانبين في وحدة متناسقة.

وبالنسبة لبعض الباحثين الأمريكيين، فالشخصية تعني (الطبع) المشتق من اليونانية، والذي يشير إلى (السمات المميزة) للفرد. إذ يشكّل (الطبع) جزءا من الشخصية ويمثل جانبا معينا منها.

أما بالنسبة للأوروبيين، فاستعملوا مصطلح (الشخصية) بمعنى (القناع) وهو إشارة إلى (المظهر السلوكي) الظاهر للجوانب والعوامل الخارجية للفرد.

تكمن أهمية دراسة الشخصية في تحديد رؤية الفرد كوحدة متكاملة، حيث تتفاعل على جميع العمليات الفردية لتشكيل كيان متجانس وذلك لفهم الوظائف والعمليات بوصفها عناصر مترابطة داخل نظام شامل.

1-1الشخصية في علم النفس:

ركز (علم النفس) على دراسة (الشخصية) بالتركيز على وظائفها النفسية مثل الانفعالات، آليات الدفاع النفسي، الإدراك، التعلم، اللغة، التذكر التفكير، التخيل...إلخ.

تهدف هذه الدراسة إلى فهم كيفية تشكل الفرد وشخصيته من خلال تفاعله مع تلك العوامل والفرو قات التي تتميز بالسيمات والصفات الخاصة التي تجعله مختلفا عن غيره.

[2]) –توما جورج خوري، نظرة في أعماق الشخصية، مرجع سابق، ص32.

من خلال هذا المنظور يمكن إطلاق لأحكام على الآخرين كما، يمكن الحكم على البعض بانعدام الشخصية بينما نمدح الآخرين بأنهم يتمتعون بشخصية مميزة و قوية، ففي كلتي الحالتين فإن الشخصية قادرة على جذب انتباه الآخرين إليها، إما بشكل سلبي أو ايجابي.

1- 2مقومات الشخصية:

يبدأ تكوين الشخصية منذ لحظة الولادة، حيث يمتلك الوليد شخصية اجتماعية أولية تتجلى في قدرات وإمكانات محدودة لكنها قابلة للتفتح والتطور. لهذا من الضروري التطرق إلى العوامل التي تساعد في تشكيلها منذ الولادة حتى مرحلة النضج. من خلال هذا المنطلق يصبح من المهم استعراض أهم وابرز نظريات (علم النفس) التي تناولت موضوع الشخصية.

1-2-1نظرية "سيغموند فرويد" 1856-1939 "SIGMUND" FREUD"

"تتكون الشخصية عند(فرويد) من ثلاثة أقسام رئيسية وهي :

ألهو ،الأنا ، الأنا الأعلى"[3]

أ_ ألهـــو :يعد ألهو المكوّن الأساسي و الأول في الشخصية، يعمل وفق مبدأ اللذة و البحث عنها و هو مستودع الدوافع الفطرية والغريزية التي يولد بها الإنسان، حيث يمثل خزان الطاقة النفسية مما يدفع الفرد إلى البحث المستمر عن الإشباع.

ب _الأنـــا : يسعى إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من الإشباع، و لكن ضمن الحدود التي يفرضها الواقع و المحيط. فهو أشبه بجواد جامح إن لم يتم ضبطه، فقد يؤدي إلى تدمير نفسه. لذلك، يلتزم الأنا بالواقع ويعمل

[3]) – يُنظر: توما جورج خوري، نظرة في أعماق الشخصية، مرجع سابق، ص83.

علـــى تخفيـــف التـــوتر بشـــكل مؤقـــت إلـــى أن تتـــاح لـــه الفرصـــة المناســـبة للتفريـــغ الكامـــل لهـــذا التوتر.لـــذلك يمكـــن القـــول أنّ الأنـــا هـــو امتـــداد للهـــو، ولـــيس مستقلا عنه.

ج_الأنـــا الأعلـــى: تتشـــكل الأنـــا الأعلـــى داخـــل الفـــرد،و يكـــون مصـــدره داخلـــي و لـــيس خـــارجي.فهو تمثـــل مجموعـــة القـــيم و التقاليـــد التـــي توجـــه ســـلوك الفـــرد و تســـاعده علـــى التمييـــز بـــين الصـــواب و الخطـــأ. و عنـــدما يلتـــزم الفـــرد بهـــذه المبادئ فأنه يكتسب شخصية ناضجة و متزنة.

1-2-2-نظرية " كارل يونج" 1875-1961 CARL JUNG

تتشـــابه نظريـــة (كـــارل يـــونج) مـــع نظريـــة (ســـيغموند فرويـــد) فـــي بعـــض الجوانـــب المتعلقـــة بتكـــوين الشخصـــية، لكنهـــا تختلـــف عنهـــا اختلافـــا جوهريـــا فـــي نـــواح عـــدة. فقـــد كـــان يـــونج فـــي البدايـــة أحـــد أفـــراد الرعيـــل الأول مـــن المحللـــين النفســـيين الـــذين تـــأثروا (بفرويـــد)، لكـــن تلـــك الاختلافـــات الفكريـــة كانـــت الســـبب الرئيســـي فـــي انفصـــاله عنـــه،مما دفعـــه إلـــى تطـــوير نظريتـــه المســـتقلة فـــي (علـــم النفس).

اســـتخدم (كـــارل يـــونج) مصـــطلح "الأنـــا" لوصـــف تلـــك العمليـــات الشـــعورية الكاملـــة، بينمـــا يـــرى (فرويـــد) أنّ لأنـــا يعمـــل علـــى مســـتوى اللاشـــعور،و رغـــم أنّ (يـــونج) احـــتفظ بالبنيـــة الثلاثيـــة للشخصـــية (ألهـــو، الأنا،الأنـــا الأعلـــى) إلا أنّـــه ركّـــز و اهـــتم أكثـــر بـــ(مفهـــوم الـــذات)، فبالتـــالي يمكـــن القـــول أن (الـــذات) عنـــد (يـــونج) هـــي النقطـــة التـــي تتكامـــل فيهـــا مختلـــف جوانـــب الشخصـــية، حيـــث تعمـــل علـــى تحقيـــق التـــوازن بـــين الغرائـــز الحيوانيـــة التـــي تحـــرك الإنسان،والإرث الروحي و الاجتماعي الذي يشكل هويته و ثقافته.

لذلك تعد (الذات) عنصرا أساسيا في العديد من الدراسات و النظريات النفسية،حيث أصبح ينظر إليها كوحدة مركزية ،التي من خلالها تتشكل شخصية الفرد و توجه سلوكه.

عند العودة إلى نظرية(يونج) في أنماط الشخصية،نجد أنّها واحدة من أكثر النظريات انتشارا،حيث قسم الشخصية إلى نوعين رئيسين:

1. المبسط: هو الذي يتجه أساسا نحو الآخرين و العالم الخارجي.
2. المنطوي: هو الذي يكون أكثر اهتماما بنفسه و بعالمه الذاتي.

" الانبساط و الانطواء يعبر عنهما بالعديد من الوظائف هي: التفكير والوجدان، والحس، و الحدس. لذلك فإن أنماط (يونج) هي في الواقع أكثر تعقيدا لكثير مما يظن الناس عادة .فالفرد يمكن ان يكون منبسطا مفكرا ولكنه في نفس الوقت منطويا في وظيفة الحدس."[4] بمعنى أنّ الإنسان يستخدم حواسه، و مشاعره لفهم العالم كما يمكن أن يكون شخصا اجتماعيا، و منفتحا في طريقة تفكيره ولكن في نفس الوقت يفضل الاحتفاظ بأفكاره الداخلية لنفسه.

1_2_3-نظرية " كارل روجرز " CARL ROGERS 1902-1987

يركز (روجرز) في نظريته على ما يسمى بـ(المجال الظاهراتي)، و الذي يتمحور حول (مفهوم الذات)،حيث يرى أن هذا المفهوم هو العامل الأساسي في تحديد سلوك الفرد. و يؤكد أنما يطلق عليه (الذات الظاهراتية)يمثل للفرد الحقيقة المطلقة، ويوضح فكرته بمثال، حيث قال:"إنّ الشخص العادي لا يستجيب للبيئة الموضوعية ،وإنما يستجيب

[4]) –توما جورج خوري، نظرة في أعماق الشخصية، مرجع سابق، ص ص86.87.

لكيفية إدراكها لها بصرف النظر عمّا تكون عليه تلك الإدراكات من تحريفات ذاتية"[5]

(فنظرية الذات) عند (روجرز) ذات طابع ظاهراتي، ضمن إطار الخبرة الذاتية للفرد. ويتجلى هذا الطابع بوضوح في الأسئلة التي تعكس تجربة الإنسان الداخلية مثل: ماذا نريد؟ كيف نفكر؟و كيف نشعر؟ فهذه الأسئلة تثبت الطريقة التي يدرك بها الفرد ذاته و عالمه، مما يجعل تجربته الشخصية محور فهم سلوكه و توجهاته و انفعالاته.

فهذا يشير إلى أن(مفاهيم الذات) معقدة ومتغيرة، حيث تؤثر بشكل فعّال في طريقة فهم الفرد للمواقف المثيرة المختلفة وكيفية تفاعله معها. فهي تشمل تصوره لجسمه من حيث القوة أو الضعف، و الجاذبية أو عدمها بالإضافة إلى إدراكه لمدى قبوله أو رفضه من قبل الآخرين، غالبا ماتتشكل هذه النظرة الذاتية جزئيا بناء على التقديرات و الانطباعات التي يعكسها المحيطون بالفرد في تفاعلاتهم معه.

ففي هذا السياق، نطرح السؤال التالي : هل يستطيع الإنسان العادي فهم شخصيته؟و بالتالي فهم شخصيات الآخرين؟

يمكن للفرد العادي إدراك شخصيته من خلال تأثيرها على الآخرين، فهو يسعى إلى تقييم ذاته، سواء كانت شخصية ايجابية،أو مؤثرة من خلال أفعاله، و انجازاته، ضمن بيئته و مجتمعه.

2-الشخصية و مفهوم الشعور:

يعد (الشعور) محورا و موضوعا رئيسيا في (علم النفس)، حيث ينظر إليه على أنّه تجربة عقلية مميزة لدى البشر، و يعد من الظواهر الأساسية

[5]) – توما جورج خوري، نظرة في أعماق الشخصية المرجع سابق، ص 91
.

التي خضعت للتحليل، ويمكن تعريفه بأنّه إدراك الفرد لما يمر به من تجارب داخلية، فهو يمثل وعي الإنسان بحياته من الداخل ودراسة مكنوناته و عوالمه الداخلية و معرفته الذاتية بما يختبره من مشاعر وخبرات شخصية.

وقد عرّفه (كارل يونج): "بأنّه المضمون النفسي للذات بقدر ما تحس ذاته بأن هذا المضمون نفسي، و يقول أيضا ان الشعور هو النشاط الذي يحقق صلة المضمون النفسي بالذات و الشعور ليس النفس كلها "[6]

أي أنّ(الشعور) هو ذلك المضمون النفسي الذي تعيه الذات، وهو النشاط الذي يربط هذا المضمون بالوعي لكنه لا يمثل النفس بأكملها، إذ قد تبقى بعض الأجزاء النفسية غير متصلة بالأنا الواعية و المدركة.

كان (الشعور) قبل نظرية (فرويد)هو المحور الأساسي لدراسة (علم النفس) لكن مع ظهور التحليل النفسي أخذ اللاشعور مركز الاهتمام، مما جعله من المواضيع الرئيسية للبحث و الدراسة النفسية.

وعلى مر العصور، قدّم الفلاسفة وعلماء النفس تفسيرات مختلفة للسلوك حيث انقسمت بين رؤية، و طريقة آلية تعتمد على مبدأ العلة والمعلول وأخرى ينظر إليها من منظور النشاط القائم على حرية الإرادة و الاختيار الواعي.

أما(السلوك الغريزي)فهو تصرف فطري لتحقيق هدف معين حيث يدفع الإنسان للقيام بأفعال تهدف أساسا إلى إشباع غرائزه و تلبية احتياجاته الطبيعية. و من أمثلة ذلك الانعكاسات الفطرية مثل استجابة الحدقة

[6]) –عبد العزيز جادو، الشعور و اللاشعور عند فرويد ،ادلر، يونج، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية، د.ط ، د.ت ن ، ص57.

.

للضوء، و ردود الفعل في القرينة و الركبة و غيرها.فلكل منها دور ووظيفة محددة.

أما بخصوص التعلم، تؤكد (مدرسة الجشطالت) على أنّ الإدراك الفجائي لدلالة الموقف هو العامل الأساسي الذي يوجه المحاولات المختلفة، دون الاعتماد على الخبرات السابقة أو أسلوب المحاولة و الخطأ. و يظهر هذا الاستبصار أثناء عملية التعلم، حيث يتمكن الفرد من فهم طبيعة الموقف بشكل واضح بعد سلسلة من المحاولات غير الناجحة، سواء كانت قصيرة أو طويلة، وترى (الجشطالت)أنّ الاستبصار يمثل القانون الأساسي في عملية التعلّم لدى الإنسان و الحيوان على حد سواء.

واستنادا إلى ما تقدم يمكن القول أنه يمكن النظر إلى (آلية السلوك الشعوري) معتبرين إياها عملية محكومة بروابط عقلية، لكنها في جوهرها يختلف عن النشاط الذي يتميز برؤية عقلية هادفة تسعى لتحقيقها،فبالتالي تبدو الآلية و كأنّها تعمل دون هدف محدد. يحمل النشاط بعدا معنويا يسعى نحو غاية محددة.

3-انفصام الشخصية و أمراضها:

3-1أمراض الشخصية:

أ- الانفصام:

يشير الانفصام إلى الحالة النفسية التي تؤدي إلى ابتعاد المريض عن الواقع من حيث العمليات العقلية، و التفاعل الاجتماعي، و الحياة العاطفية، وذلك بسبب اضطرابات نفسية عميقة. ينتج عن هذا الانفصام تفكك في النفس الإنسانية، مما يؤدي إلى فقدان التوازن النفسي وصعوبة في تحقيق الانسجام الداخلي للشخصية.

حيث يتسبب هذا المرض في دفع المصاب إلى العزلة، حيث يفضل البقاء وحيدا يتأمل بكل ما يحيط به، دون رغبة أو طموح، وإذا كان يتلقى العلاج في المستشفى فإنه غالبا ما يميل إلى الانطواء و الانغلاق على نفسه. لهذا السبب ينظر إلى هؤلاء المرضى على أنّهم حالات معقدة، قد يكون من الصعب على الأطباء علاجها.

كما يظهر المريض سلوكيات غير مألوفة، أو غير لائقة اجتماعيا، حيث يقوم بتصرفات أو إشارات تتنافى مع القيم و الآداب العامة المتعارف عليها في المجتمع. هذه الأفعال قد تكون غير واعية أو ناتجة عن اضطرابات نفسية تؤثر على قدرته على الإدراك و التحكم في تصرفاته مما يجعله غير مدرك لمخالفة هذه السلوكيات للمعايير الاجتماعية السائدة.

إضافة إلى ذلك، قد يتبنى المريض أحيانا وضعية ثابتة يبقى عليها لساعات طويلة دون تغيير، حتى أن الطبيب المشرف لا يتمكن من إقناعه بتعديلها وإن اجبر على ذلك فإنّه سرعان ما يعود إلى وضعه السابق. ومن الجدير بالذكر أن المريض في هذه الحالة يميل إلى الصمت التام، ممتنعا عن الكلام.

"فالانفصام بهذا المعنى هو حالة من تفكك الشعور، حيث ينقسم الإدراك العقلي للفرد إلى تجربتين منفصلتين، دون وجود وعي متبادل بينهما."[7] بمعنى أن الانفصام هو حالة نفسية يتميز بتفكيك الشعور و أفكار للإنسان إلى تجربتين أو أكثر منفصلتين عن بعضهما البعض، دون وجود وعي متبادل أو تواصل بين هذه التجارب. فالانفصام آلية دفاعية يستخدمها العقل للحماية من الضغوط النفسية.

[7]) –توما جورج خوري، نظرة في أعماق الشخصية،مرجع سابق،ص175.

.

ب_شخصيات متعددة في جسد واحد: كيف و لماذا؟

يتعرض الأطفال الصغار خصوصا في سن الرابعة و السادسة لحالات العنف و القسوة، مما يدفعهم إلى إيجاد طرق للتكيف مع هذا الإحباط. ونتيجة لذلك قد تتشكل شخصية أخرى لديهم لتظهر و تأخذ دورها في مواجهة الواقع القاسي. كما يتعرّض الأطفال أحيانا لاعتداءات جسدية وجنسية من قبل البالغين في موقف يعجزون فيه عن الدفاع عن أنفسهم أو مقاومة الأذى الذي يلحق بهم. لذلك يلجأ بعض الأشخاص إلى التنويم المغناطيسي الذاتي كوسيلة للشعور بالراحة، مما يدفعهم إلى تكوين شخصية جديدة تمنحهم إحساسا بالتحرر من معاناتهم فهم يعتقدون ان من خلال هذا الأسلوب يمكنهم التخلص من بعض المشكلات المرتبطة بشخصيتهم السابقة.

وبخصوص هذا السياق لا يمكن التغافل عن تأثير المشكلات العائلية والمالية، أو الفشل في العلاقات العاطفية و الجنسية، وحتى الممارسات المزمنة للعادة السرية، في زيادة خطر الإصابة بهذا الاضطراب. فقد تؤدي هذه العوامل إلى ضغوط نفسية شديدة، تفضي إلى العزلة والانطواء على الذات، بل وقد تصل إلى الهلوسة في بعض الحالات. ومن المهم عدم الخلط بين تعدد الشخصية و البارانويا، إذ أنّ الفرق الأساسي بينهما يكمن في طبيعة الهذيان المصاحب لكل منهما ففي حالة تعدد الشخصية يكون الهذيان قصير الأمد و يرتبط بتغيير الشخصيات بينما في البارانويا يستمر لفترة أطول، وقد يكون أكثر استقرارا و ثباتا في نمطه. حيث يتميز هذيان البارانويا بكونه واضحا و مسيطرا على مشاعر المريض، حيث يصبح مقتنعا بأفكاره الوهمية لدرجة تؤثر

على سلوكه وعلاقاته الاجتماعية. أما هذيان تعدد الشخصية، فإنّه لا يكون مستقلا بذاته، بل يأتي ممزوجا مع أعراض أخرى، مثل البلاهة الانفعالية حيث يبدو المريض غير مبال أو غير متأثر عاطفيا بما يحدث حوله،إضافة إلى الابتعاد عن واقع الحياة و الانفصال عن البيئة المحيطة به. وهذا ما يجعل تعدد الشخصية أكثر تعقيدا. إذ لا يقتصر على الأوهام بل يمتد ليشمل تغيرات في الهوية و السلوك.

يرى علماء النفس بناء على دراسات لحالات عديدة من المصابين بتعدد الشخصية، ان هذا الاضطراب لا يعدو أن يكون نتيجة لتراكم عادات خاطئة في ردود أفعال الفرد. فمع مرور الوقت يؤدي ذلك إلى شعور عميق بالنقص يترسخ في ذهن المريض، إلا أنه لا يسعى لمواجهة أو التغلب عليه، بل يستسلم له تماما. فبدلا من محاولة مقاومة هذا الشعور ينغمس المريض في التحدث عن متاعبه دون البحث عن حلول، مما يجعله أكثر عرضة للتوهم و الافتراضات، وهو ما يعزز الانفصال عن الواقع و يساهم في تطور المرض.

"أمّا من الناحية الطبية فيعلّل بعض الأطباء سبب تعدد الشخصية بأنّه عبارة عن اضطرابات تصيب الغدد الصماء و تؤثر على عملها في حين يعلل آخرون بأنّه ناتج عن تسمم داخلي بسبب تغيرات كيميائية في الجسم"[8]

استنادا إلى ما تقدّم فسّر بعض الأطباء تعدد الشخصية على أنّه نتاج عن اضطرابات تصيب الغدد الصماء، مما يؤثر على عملها، هذا ما يؤدي إلى خلل في التوازن الهرموني داخل الجسم. أما البعض الأخر يفسرون هذا الاضطراب نتيجة تسمم داخلي ناجم عن تغيرات كيميائية في

[8]) –توما جورج خوري، نظرة في أعماق الشخصية،مرجع سابق،ص179.

الجسم تؤثر على الدماغ ووظائفه الإدراكية، مما يؤدي إلى انقسام الشعور و ظهور شخصيات متعددة داخل الفرد الواحد.

ج-الهوس:

وفقا لما ورد في كتاب (مصطفى غالب) فان للهوس أنواع و حالات ودرجات متعددة. من بينها الهوس الخفيف، حيث يتميز المصاب بنشاط ملحوظ دون أن يشعر بالملل أو التعب، كم يكون ميالا للاستئثار بالكلام ويرافق ذلك إصرار على آرائه وأفعاله، مما يجعله غير متقبل للنقد بأي شكل من الأشكال.

أمّا الهوس الشديد، فيظهر على شكل نوبات حادة و عنيفة من الهذيان مما يجعل المصاب، غير قادر على القيام بأي عمل منطقي فيصبح أسير لهذا الهذيان، وفي الحالات الشديدة للغاية قد يفقد المصاب تماما القدرة على تمييز الزمان و المكان الذي يتواجد فيه.

"أمّا النوع الثالث من الهوس فهو النوع العنيف جدا hyper mania الذي يأخذ بالمصاب إلى درجة الانزلاق في أمور يصعب فيها التحكم بتصرفاته و أفعاله و أقواله مما يشكل خطرا عليه وعلى غيره من الناس خاصة المقربين منه"[9]

3-2العقدة النفسية و مركبات النقص:

تختلف العقد النفسية عن الميول و العواطف من حيث أنّ عناصرها الوجدانية تكون ذات طبيعة مؤلمة. يستخدم مصطلح (العقدة النفسية)أو(المركب) في معنيين:

1. المعنى الواسع: يشير إلى كونها نتاج خبرة انفعالية عنيفة أو أليمة، بحيث تؤدي إلى استثارة نفس المشاعر في المستقبل من

[9]) -مرجع نفسه، ص181.

خلال التداعي، أي عند مواجهة مواقف مماثلة أو ذات صلة بهذه التجربة السابقة.

2. المعنى الضيق: يركز على العناصر المكبوتة التي تنشأ من صراع داخلي لم يتم حله، مما يجعل الفرد يتفاعل معها بطريقة غير واعية، وقد تؤثر على سلوكه و مشاعره في المستقبل.

قد يشير مصطلح (المركب) في معناه الضيق إلى العناصر المكبوتة الناتجة عن خبرة أليمة لم يتم حلها، بسبب تعارض شديد بين نزعتين متناقضتين يثيرهما نفس الموقف أو الشيء.

ومن أكثر (المركبات النفسية)الأكثر شيوعا و الذي نسمع عنه كثيرا هو (مركب النقص). ومن المهم أن نميز بينه و بين (الشعور بالدونية) حيث يتميز هذا الأخير بكونه واعيا، أي أن الشخص يدركه بوضوح، بينما يتميز (مركب النقص)بكونه لاواعيا، مما يجعله أكثر تعقيدا أو تأثيرا على السلوك دون إدراك مباشر من الفرد.

في الواقع لا نعد الشعور بالدونية حالة مرضية في حد ذاته، بل قد يكون مفيدا في بعض الأحيان، حيث يمكن أن يدفع الشخص إلى تطوير مهاراته و تحقيق انجازاه اكبر، مما يجعله محفزا للنمو و التقدم. كما اعتقد (آدلر):" أن السبب إنما يرجع إلى مشاعر النقص التي تبدأ و تتراكم في سنوات الطفولة الأولى. ذلك لأن الطفل يحاول أن يعوّض عن هذه المشاعر بالنضال في سبيل التفوق على الآخرين، و الطريقة التي يصطنعها لتحقيق هذا الهدف في الطفولة تصبح هي المثال الذي يوجه سلوكه في ما بعد"[10]، يشير هذا إلى أن مشاعر النقص التي تبدأ في سنوات الطفولة الأولى هي السبب الرئيسي وراء العديد من أنماط السلوك

[10]) –سار جنت، علم النفس الحديث، تر: منير البعلبكي، دار التعليم للملايين، بيروت، د.ط،1984، ص25.

فيما بعد. فالطفل الذي يشعر بمركب النقص يسعى إلى التعويض من خلال النضال من أجل التفوق على الآخرين. و الطريقة التي يختارها لتحقيق هذا الهدف في طفولته تصبح بمثابة النموذج الذي يوجه سلوكه لاحقا في مختلف مراحل حياته.

4-الشخصية والمجتمع:

من المستحيل تشكيل شخصية الإنسان بشكل منفصل عن بيئته، وبما أن أقواله و أفعاله و أفكاره تعكس بعض القيم السائدة في المجتمع، فلابد من الإقرار بالتأثير العميق الذي يمارسه المجتمع على تكوين شخصية الأفراد. لقد أشار(لندبرج ولارسن) إلى أنّ المجتمع يتمثل في سلوك أي جماعة من الكائنات الحية التي تستمر في حياة مشتركة و متوافقة من خلال التفاعلات و العلاقات المتبادلة.

وهو أيضا " عبارة عن تجمع الأفراد بعضهم إلى بعض بوصفهم أعضاء في جماعات."[11]مما يعكس طبيعة الترابط و التفاعل الاجتماعي الذي يشكل أساس الحياة الجماعية.

كذلك الذات الإنسانية تعمل كمرآة تعكس تفاعلات الآخرين، مما يجعل كل فرد بمثابة انعكاس لمن حوله، حيث تتجلى فيهم تأثيرات استجابات بعضهم البعض، فالطفلة التي تولد أنثى تمر بعدة أدوار عبر مراحل حياتها مثل: "الطفلة، البنت، الشابة، المرأة، الموظفة، العروس الزوجة،الجدة،...الخ"[12]، هذه الأدوار يكتسبها الفرد إما من خلال التعلم الموجه و المقصود الذي تدعمه عملية التنشئة الاجتماعية و يعززه الجزاء الاجتماعي أو من خلال التعلم التلقائي، الذي يتم عبر تبني الأنماط

[11]) –توما جورج خوري، نظرة في أعماق الشخصية، مرجع سابق، ص 130.
[12]) –توما جورج خوري، نظرة في أعماق الشخصية مرجع سابق، ص 132.

السائدة و استيعاب المعايير القانونية و الثقافية و الدينية المحيطة به، كما إنّ توفير فرص متكافئة تعتمد على الكفاءة و القدرة و الخبرة هو السبيل الأمثل للحد من حدة الصراع في الأدوار، مما يساعد على تفادي الشعور بالضياع و التوتر و الانفعال و الضغط الاجتماعي. حيث يتشكل السلوك الإنساني من ثلاثة عناصر أساسية وهي:

أ. **الدور**: ويمثل البعد الثقافي الذي يحدد التوقعات الاجتماعية من الفرد.

ب. **الوضع**: ويعبر عن المكانة الاجتماعية التي يشغلها الفرد داخل المجتمع.

ت. **الذات**: وتشكل الوحدة الأساسية للشخصية، حيث تتفاعل مع الدور و الوضع لتكوين السلوك الفردي.

5-معايير الشخصية:

أ. حالة الفرد و موقفه من الأنا:

إنّ التقييم الصحيح و السليم للشخصية لا يقتصر على تطورها العاطفي بل يتطلب أيضا امتلاك روح نقدية واعية، ومع ذلك فإن قلة قليلة من الناس فقط هي التي تتمكن من تحقيق هذا التقييم بدقة، و هنا تأتي وظيفة الميكانيزمات الدفاعية، التي تعمل على جعل الجوانب المقلقة من "الأنا"والتي قد تولد الشعور بالقلق أو الذنب، أكثر قبولا من خلال نوع من التمويه النفسي.

ومن المهم الإشارة إلى أن الوصول إلى حقيقة "الأنا" لا يمكن أن يكون كاملا أبدا، إذ تتداخل عناصر مستمدة من "الأنا المثالي" مع معرفة "الأنا الحقيقي"، مما يجعل التقييم الذاتي دائما مشوبا ببعض التصورات المثالية.

ولكي يكون وعي الشخص ذا أهمية، لابد ان يتقبل رغباته، بشرط أن تكون هذه الرغبات متوافقة مع إمكاناته و قدراتها العقلية. ومن هذا المنطلق، نجد أنفسنا مدفوعين للحديث عن (الشعور بالهوية)، حيث يلعب هذا الشعور دورا أساسيا في تحقيق التوازن بين تطلعات الفرد و إمكاناته الواقعية، فإنّ مجرد وعينا بهويتنا يعني إدراكنا لوحدة شخصيتنا و ذلك من خلال مراعاة الماضي و الحاضر و المستقبل معا.

و بعبارة أخرى، فإن هويتنا هي نتاج تطور شخصيتنا عبر الزمن، منذ الطفولة حتى مرحلة النضج. و هذا ما يجعلنا متميزين عن الآخرين، فهي بمثابة جواز سفرنا في هذا العالم الكبير، تعرّف بنا و تحدد موقعنا في الحياة. في هذا السياق، يبرز تساؤل مهم، "ماذا يحدث للفرد لو فقد هويته مؤقتا أو بصورة دائمة؟ فالجواب الحالي هو "تفكك شخصيتنا".[13]حيث يفقد الفرد إحساسه بذاته، ولم يعد تشعر بأنه يحب نفسه، بل يصبح كما لو كان شخصا آخر. إنه فقدان للكينونة، للأصالة، و الاستمرارية.

وفي الحالات القصوى، قد يؤدي هذا التفكك إلى زوال الشخصية تماما وهي ظاهرة تمثل أقصى درجات فقدان الهوية، تصل بالفرد إلى حالة من "اللاوجود"، وتعد هذه الظاهرة من اخطر الاضطرابات النفسية التي قد تصاحب بعض أشكال العصاب الشديد. ومن الجدير بالذكر أن المشكلات الجنسية قد تشكل بيئة خصبة لهذه الاضطرابات، مما يزيد من تعقيد أزمة الهوية لدى الفرد.

[13]) –توما جورج خوري ، نظرة في أعماق الشخصية، مرجع سابق، ص 166.

6-الشخصية والآخر:

"إنّ معرفة الغير ليست أسهل من معرفة الذات"[14]، إذ تتطلب منا إحساسا داخليا يتجاوز كل فهم مادي، مما يستوجب ضبط ميولنا و أهوائنا، وكأننا نقول للفرد: "إذا أردت ان تكون موضوعيا-نسبيا- فحاول أن تضع نفسك في مكان الآخرين"[15] عندها فقط يمكن رؤية الأمور بوضوح أكبر، واتخاذ أحكام أكثر اتزانا و منطقية و مقبولة اتجاه الآخرين غير أن هذه القدرة على وضع النفس في مكان الآخرين ليست شائعة بين الجميع، إذ ترتبط بعملية التعلم التي يكتسبها الفرد من خلال التقاليد و العادات و الثقافة التي تشكل بيئته.

ومن منظورنا، تعد هذه المهارة من أهم المعايير الفعّالة للصحة العقلية. فهذا المعيار يعمل على تنمية الشخصية وصقلها، مما يسهم في تعزيز قدرتها على بناء علاقات سليمة مع الآخرين، كما تساعد على تطوير إدراك أكثر دقة ووضوحا للذات و للواقع المحيط، مما ينعكس إيجابا على التفاعل الاجتماعي و التكيف النفسي.

كذلك يعود سوء فهم الواقع إلى غياب التوازن بين حياتنا العاطفية والحقائق المحيطة بنا في هذا العالم الواسع، فعدم الانسجام بين الذات والآخرين يؤدي إلى تشويش الإدراك، مما قد يضعف الارتباط بالواقع. وفي بعض الحالات قد يتطور هذا الانفصال ليؤدي إلى اضطرابات عصابية، و أحيانا إلى حالات من الهذيان و الهلوسة، اللتين تعكسان فقدان جزئيا أو كليا للصلة بالواقع.

[14]) –توما جورج خوري، نظرة في أعماق الشخصية ،المرجع نفسه، ص 167.
[15]) –المرجع نفسه، ص 167

7-الشخصية في الأدب:

إنّ المنحى الموضوعي في دراسة الأدب هو أسلوب يعتمد على خطوات واضحة و محددة. وهذا المنحى يهتم بجمع معلومات يمكن ملاحظتها و تحديدها بدقة، و يتعامل مع الأدب كواقع يمكن تحليله باستخدام أدوات و طرق تساعد في الوصول إلى حقائق و موثوقة لذلك واجه العديد من العلماء الذين تبنوا هذا المنحى الموضوعي في دراسة الأدب انتقادات ومعارضات، منها ما صرح به و منها ما هو غير مباشر.

حيث يرى بعض المعترضين أن ذلك الأسلوب لا يتناسب مع الأدب، لأنه من الفنون شديدة الرهافة حيث يرتبط بالمشاعر مثل الحب و الكراهية، و بالقيم مثل الحرية و العدالة. ويتساءلون: " كيف يمكن ملاحظة هذه الانفعالات و القيم؟ وكيف يمكن جعلها قابلة للملاحظة؟ ومن ثم كيف يمكن دراستها موضوعيا؟"[16] أي طرح أسئلة عن كيفية ملاحظة تلك المشاعر و القيم و كيف يمكن جعلها قابلة للدراسة و المناقشة و كذلك كيف يمكن تحليلها تحليلا موضوعيا.

في هذا السياق " كثيرا ما نجد كتابات مدونة أو أحاديث لفظية مسجلة للمؤلفين و للقراء حول خبراتهم العقلية أو الانفعالية الخاصة خلال إنتاجهم أو تلقيهم للأدب و تفاعلهم معه. ومثل هذه الكتابات و الأحاديث يمكن ملاحظتها أو تسجيلها ثم تحليلها بالوسائل المناسبة".[17] أي غالبا ما نصادف كتابات مدّونة أو تسجيلات و أحاديث حيث يعبّر فيها المؤلفون عن تجاربهم الذهنية أو الوجدانية أثناء تفاعلهم معها و تلقيهم لها. وهذه الكتابات يمكن دراستها.

كما أنه في سياق آخر " يمكن جعل المعنى النفسي للعمل الأدبي، وهو المعنى الذي يكون أكثر خفاء من مجرد الاستجابة الصريحة بالتفضيل أو عدم التفضيل للعمل الأدبي، يمكن جعل هذا المعنى قابلا للتناول الموضوعي من خلال الاهتمام بدراسة أحكام القراء حوله، أي

---

[16]) –شاكر عبد الحميد، مدخل إلى الدراسة النفسية للأدب نظريات و تطيقات، مرجع سابق، ص91.

[17]) –توما جورج خوري، نظرة في أعماق الشخصية ،المرجع سابق، ص91.

تلك المعاني المختلفة، أو المشتركة التي يقدمونها لنا بعد تعرضهم المناسب لهذه الأعمال بل إن ظواهر الصور العقلية و الاتجاهات و سمات الشخصيات يمكن دراستها أيضا من خلال هذا الأسلوب غير مباشر، أننا هنا ندرس المبدع من خلال المتلقي أو القارئ"[18]

كما يمكن تناول الأدب من المنظور التجريبي من خلال مجموعة من المداخل المتنوعة، من أبرزها:

1-**تحليل مضمون النصوص الأدبية:** ويشمل ذلك ما تتضمنه من دوافع تحكم تصرفات الشخصيات في الروايات، و المشاعر و الانفعالات التي تنقلها والصور البلاغية في الشعر، إلى جانب المبادئ و القيم التي تبرز في القصص القصيرة.

2-**دراسة شخصيات الكتّاب:** وذلك من خلال التركيز على مصادر الإلهام و الإبداع لديهم، و تحليل تأثير تجارب الطفولة على نتاجهم الأدبي، بالإضافة إلى ملاحظة الفروقات الفردية بين الرائي، و كاتب المسرحية، و الشاعر من حيث الأسلوب والتوجيهات الفنية.

3-**ميول القرّاء و تفصيلاتهم:** ويقصد بها دراسة الاختلافات في الذوق الأدبي بين الفئات العمرية، مثل الفرق بين الشباب و البالغين، و كذلك الفروقات بين الذكور و الإناث في تفضيل أنواع معينة من الأعمال الأدبية على غيرها.

4-**اثر السياق الاجتماعي:**أي البيئة الاجتماعية التي يبدع و ينتج فيها الكتّاب أعمالهم، و كذلك السياق الذي يؤثر في اختيارات القرّاء و تفضيلاتهم الأدبية. كما يتناول هذا المدخل كيفية تغيّر الأساليب و التوجهات الأدبية عبر الأزمنة واختلافها بين الثقافات المتنوعة.

[18]) – شاكر عبد الحميد، مدخل إلى الدراسة النفسية للأدب نظريات و تطبيقات، مرجع سابق، ص،ص 91.92.

5-عملية الإبداع الأدبي: هي كل ما تتضمنه من أنشطة و علاقات متداخلة إضافة إلى العوامل النفسية و الاجتماعية التي تسهم في تشكيل العمل الأدبي و إخراجه إلى الوجود.

و انطلاقا من هذا التوجه، يأتي المنحى النفسي الذي تبناه (تشارلز مورون) كإضافة نوعية للمداخل التجريبية، إذ يسلّط الضوء على الجانب اللاشعوري في العملية الإبداعية. (فمورون) يرى أن الإبداع يرتبط ارتباطا وثيقا بأحلام اليقظة، و يعد فعلا رمزيا تطهيريا يعبر عن الدوافع و الرغبات اللاواعية عبر الاستعارات و الرموز.

ويؤكد (مورون)على أن دراسة أعمال الكاتب بشكل متكامل تظهر ثيمات رمزية متكررة تعبّر عن واقعة النفسي الداخلي. فهذه الشبكات الاستعارية تمثّل عالما باطنيا خاصا بالكاتب، و تكشف عن هواجس و أفكار متسلطة تتكرر لديه كما تفعل الأحلام.

لذا، يمكن للناقد أن يقيم صلات بين حياة الكاتب الخاصة و عالمها لإبداعي، بحيث يصبح المؤلف ذاته كيانا قابلا للاكتشاف من خلال أعماله لأدبية، إذ يختزل إلى ذات يستدل على ملامحها النفسية من نصوصه.

8-الشخصية و الخيال:

لقد قام (كولريدج) بتمييزه بين (التوهم) و (الخيال)، بالإضافة إلى تمييزه بين مستويين من الخيال، أي الفصل بين (الخيال الأولي) و (الخيال الثانوي). وقد سبقت ذلك محاولات عديدة قام بها العديد من المفكرين مثل (لوك)، (وولف)، (جيرارد)، (بلاتنر)، (تينز)، (سولزر)، (سيتوران اليسيون)، (فيختيه)، و(شيلينغ)، و غيرهم، لتقسيم الخيال إلى مستويات أو درجات من القوة. كما ظهر لدى العديد منهم ذلك التمييز بين (التوهم و الخيال)، وهو ماساهم في تشكيل فهم أكثر تعمقا لطبيعة العملية الإبداعية.

8-1الخيـــال الأولـــي: هــو القــوة الفعالــة فــي الإدراك و الــتعلم، أشــبه بعمليــة تعلــيم و تعلــم وفقــا للمعنــى الأصــلي و العــام للكلمــة. إنّــه يقــود العقــل إلــى الخــارج، نحــو العــالم المحــيط بــه، ويعمــل بشــكل غريــزي علــى إدراك ماهيــة الطبيعــة. كمــا أنــه يفهــم الظــواهر و الخبــرات الحســية مســتخدما الرمــوز التــي يبتكرهــا كوســيلة لنقــل المعرفــة، و هــو مفهــوم اســتمده مــن (هــارتي). يبــدأ هــذا التعلــيم الــذاتي منــذ المــيلاد و يســتمر داخــل كــل عقــل بشــري عبــر الــوعي التلقــائي الطبيعــي، وهــو الســمة الأساســية لجميــع الكائنــات المفكــرة، كمــا يجــب علــى (الخيــال الأولــي) أن يــدرك و ينشــيء داخــل ذاتــه و لذاتــه، أي ضــمن (مبــدأ التــرابط) الخــاص بمــا هــو قابــل للتــرابط، حتــى قبــل حــدوث أي تــرابط فعلــي. وهــذا مــا يفســر ملاحظــة (كولريــدج) بــأن (الخيــال الأولــي) لــيس ســوى شــكل مــن أشــكال الــذكاء، يكشــف عــن نفســه كقــوة أو ملكــة نمارســها بشــكل غريــزي قبــل أن نخضــعها لمــا يعــرف بــالتوهم الســلبي و الــذاكرة الميكانيكيــة. لــذا يمكــن القــول ان (مســتوى الخيــال الأولــي) لــيس ســوى درجــة مــن النشــاط الــذي يوظفــه العقــل لتمثيــل العــالم الطبيعــي و إعــادة إنتاجــه داخــل الــذكاء الفــردي. لكــن هنــاك مســتوى أخــر مختلــف يقــوم بتفكيــك و تحليــل مــا تــم إدراكــه، بهــدف إعــادة خلقــه مــن خــلال فعــل تلقــائي و إرادي داخــل العقــل، بحيــث ينــتج شــيئا جديــدا لــيس لــه مثيــل سابق في العالم الطبيعي.

8-2الخيـــال الثـــانوي:إن صــفة "ثــانوي" لا تعنــي بالضــرورة أنّــه أدنــي مرتبــة بــل تشــير إلــى وجــود مســتوى أخــر أعلــى منــه. علــى ســبيل المثــال نقــول:" إنّ المدرســة الثانويــة هــي مســتوى أعلــي مــن المدرســة الابتدائيــة،لكنها أيضــا تتلــو أو تلــي و تعقــد و تقــوم علــى أســاس مــا تقدمــه

المدرسة الابتدائية (الأولية)"[19]. فيشير ذلك إلى أنّ (المدرسة الثانوية) تأتي بعد (المدرسة الابتدائية)، لكن في الوقت نفسه تبنى على الأسس التي تقدمها المرحلة الابتدائية و تعتمد عليها، مما يجعلها المرحلة الأساسية. وقد أكد كل من (وولف) و(جيرارد) و (كانط) و (شيلنغ) على أهمية التحكم الإرادي في تعزيز القدرة الخيالية و رفعها إلى المستوى الأعلى المنبثق من (الخيال الثانوي)، هو مايميز العبقرية، أي يصبح (الخيال الثانوي) هو القوة التي تخلق الجديد وليس فقط أحياء القديم.

9-التعبير الرمزي عن الخيال:

إنّ (التعبير الرمزي) عن فكرة الخيال كان نهجا تبنّاه الشعراء الرومانسيون بشكل خاص، أكثر من أي مفهوم أخر. فاعتبارهم أن العقل البارد، وفقا لما افترضه (فيختة) و(رينولدز)، غير قادر على استيعاب ما يدركه الخيال، فقد كان من الضروري اللجوء إلى الرموز و الصور للتعبير عن هذه الرؤية العميقة. فلا يمكن فهم ما قدمه (جيرارد) و (هازلت) و(كولريدج) بعمق إلا من خلال مناقشته الأفكار الأساسية للمدرسة الرومانسية في (الأدب) و (الفن). بالإضافة إلى استعراض التطورات الجوهرية التي طرأت على هذه المدرسة.

فمن خلال تقسيمه (للخيال) إلى (خيال أولي و ثانوي)، و تمييزه بين (التوهم و الخيال)، فكان في بعض الأحيان يدمج بين هذين المستويين في مناقشاته العامة، كما أشار (انجيل)، لكنه عندما تناول موضوع (النقد)

[19]) –شاكر عبد الحميد، مدخل إلى الدراسة النفسية للأدب نظريات و تطبيقات، مرجع سابق، ص133.

.

و (الفنون التشكيلية) و (الشعر)، استخدم مصطلح (الخيال) فقط وكان يقصد به تحديدا (الخيال الثانوي).

10-الأدب و تيار الوعي:

إنّ(تيار الوعي)عبارة عن عملية ذهنية تخص الإنسان،حيث لا يمكن الفصل بين كلمة(تيار) و كلمة (الوعي)لأنهما يهتمان بالجانب الذهني للشخصية. حيث يقول(روبرت همفري) بخصوص ذلك :"لقد قيل إنه ليس هناك مصطلح فلسفي جد شائع و هو في الوقت نفسه جد خال عن المعنى كمصطلح تيار الوعي و قد اتسم استخدام الرجل العادي لهذا المصطلح بأنه استدعى من الأسئلة الميتافيزيقية ما يمكن أن يفوق ما تخطى به أي كلمة مفردة أخرى"[20]

و من جهة يشير(هنري جيمس)إلى أن(الشعور) عبارة عن تجربة للوعي الإنساني بمعني أنّ التجارب هي السبب الرئيسي لوجود الوعيالذي يشمل على الأحاسيس،و الذكريات، و المشاعر، و الأوهام ...الخ التي لا تنتمي إلى النطاق الفلسفي بل هي عبارة عن حدس و بصيرة. ويقوم تيار الوعي على ثلاثة مكونات مهمة: الذاكرة، والحواس، والخيال.

11-تصور الشخصية في تيار الوعي:

تعد مشكلة تصوير الشخصية من المشكلات الأساسية المتواجدة داخل قصص تيار الوعي،و يعبر هذا النوع من الرواية القدرة على تصوير الشخصية بدقة و واقعية وهذا ما يوجد في أعمال كل من(جيمس جويس)، و(فرجينيا وولف)، و(دوروثي رتشاردسون) و غيرهم.

---

[20]) - روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية ، تر: محمد الربيعي ، دار غريب ، القاهرة ، د.ط ، 2000 ، ص ص 22.23.

بالعودة إلى التحليل النفسي، اعتمد (فرويد) في مقاربته للآداب على مجموعة من المفاهيم المتعلقة بالآليات، أو الميكانيزمات الدفاعية المتمثلة بأحلام اليقظة، و الكبت ،و التسامي، و النكوص ،و التناقض الوجداني وغيرها.فهذه المفاهيم تكشف اهتمامات (فرويد) بالبحث عن عمليات الإبداع، و التعويض الخاص بالمشكلات الداخلية المتعلقة بنمو الشخصية.

ف(فرويد) قد ساوى بين فهمه للمرض النفسي و فهمه للإبداع الأدبي. حيث يقول(شاكر عبد الحميد):"وقضية (فرويد)الأساسية هنا كما اشرنا مفادها إن نتاج الإبداع مماثل لأي منتج أخر من منتجات الخيال وخاصة الأحلام،فالنواتج الإبداعية هي تجليات و اشباعات رمزية للرغبات والتخيلات أو أحلام اليقظة و اللاشعور،و يقال كذلك في السياق ذاته قراءة الأدب و المتلقين له بشكل عام يستجيبون للاشباعات و عناصر السرور التي يستشيرها الأدب،و التي يحدث أيضا أن تكون هي وسائل المؤلف في شق طريقة للعودة من عالم الخيال إلى عالم الواقع."[21]بمعنى إنّ الإبداع من إنتاج اللاشعور المتمثلة في إشباع الرغبات كالتخيلات والأحلام اليقظة.

اعتبر(فرويد) الفن وسيلة لتحقيق الرغبات المتعرضة للعوائق الخارجية أو المثبطات الأخلاقية. فالفن نوع من الحفاظ على الحياة،أما الفنان أو الأديب هو الإنسان الذي يبتعد عن الواقع لأنه لا يستطيع أن يتخلى عن رغباته و غرائزه التي منعت من الإشباع،فجعلها تلعب دورا في عماليات التخيل، مستفيدا من بعض المهارات الخاصة في تعديل تخيلاته إلى حقائق،التي تقيم من طرف الآخرين.

[21]) - شاكر عبد الحميد،مدخل إلى الدراسة النفسية للأدب نظريات و تطبيقات ،مرجع،سابق، ص،34.

يعتبر العمل الأدبي على انه عبارة عن التخيلات، و أحلام اليقظة فقط ولكن يمكن أن يعبر عن الأشياء الأخرى الغير العقلانية، و إنكاره للإمكانية الخاصة بالأدب و التي تمكنه من التفسير الصادق للعالم.

12-مستويات تيار الوعي

اهتم علماء النفس بالدراسة،عن مستوى تيار الوعي بحيث قسموه إلى مستويات عديدة وهي:

1. المستوى الأدنى: هو مستوى واقع فوق مستوى النسيان مباشرة.
2. المستوى الأعلى: هو متعلق بمستوى الاتصال اللغوي، أو الاتصال الشكلي، وهو بدوره ينقسم إلى مستويين و هما:

1_مستوى الكلام: هو عبارة عن مجموعة من الصفات والتصرفات التي يقوم بها الفرد خاضعة للنظام و المراقبة.

2_مستوى ما قبل الكلام:هو عبارة عن صفات متعلقة بذهن الفرد الذي لا يخضع للمراقبة،و السيطرة ،و التنظيم ....الخ.

إنّ لهذين المستويين عناصر مشتركة و عناصر مختلفة، فتظهر في:"مستوى مقابل الكلام هو الذي يهتم به معظم الإنتاج لأدبي الذي تناقشه هذه الدراسة ،لا يتضمن أية أسس تتعلق بالتواصل كما هو الحال في مستوى الكلام سواء أكان متكلما أم مكتوبا."[22]

بمعنى أن مستوى ماقبل الكلام متعلق بالجانب الأدبي،أما مستوى الكلام فيتعلق بالتواصل الشفوي و الكتابي.فهذه هي الصفات التي تظهر الاختلاف الموجود بين مستوى الكلام و مستوى ماقبل الكلام.

[22]) - روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية ، مرجع،سابق،ص،ص 24،25.

يقول(روبرت همفري):"إذن فسأعني بالوعي كل منطقة العمليات العقلية بما فيها مستويات ماقبل الكلام الخصوص، سأستخدم مصطلح النفس باعتباره مرادفا لمصطلح الوعي، وحتى كلمة الذهن ستستعمل أحيانا على أنها مرادفا أخر."[23]

13-أدب تيار الوعي:

يعتبر أدب تيار الوعي من التجارب العقلية والروحية المتصلة بالأحاسيس، والذكريات، والتخيلات، و المشاعر....الخ.

ظهرّ في القرن العشرين روايات نفسية، التي تعبر عن ألهجة فنية مميزة.إن تقييم كتّاب تيار الوعي المتباين في اهتماماتهم و دراستهم أعمال الكتاب الكبار.ويقول(روبرت همفري):"لست أقدم هنا مختصرا فرويديا، أو وجوديا لأدب تيار الوعي ولا شك أن كل مؤلفي تيار الوعي كانوا على معرفة مابنظريات التحليل النفسي، و بنظرية الشخصية التي ظهرت من جديد في القرن العشرين كما أنهم كانوا متأثرين بهذه النظرية على نحو المباشر و غير مباشر."[24]

تأثر كتّاب تيار الوعي بالتحليل النفسي، حيث تتأسس نظرته للأدب على تكثيف الحياة الداخلية الفعلية و العاطفية للإنسان من خلال تقييم الشخصيات من زاوية وجودها النفسي،فكثير من الروايات قد اهتمت بمناجاة النفس لتصوير بواطن الحياة النفسية.

تقوم رواية تيار الوعي "على الرموز الخاصة بشدة ،و ذلك بغية تقديم الاضطرابات الخاصة ويأتي الخطأ بصفة أساسية من معاملة ،كل ماهو

[23] - روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية مرجع،سابق،ص،ص25.24.

[24] - المرجع نفسه،ص،36.

داخلي أو ذاتي في التشخيص على اعتبار أنّه خيال جامع ولكن منظم أو على اعتباره انه تحليل نفسي في أحسن الحالات."[25]

لقد كان رواد تيار الوعي قليلي الشهرة في القرن العشرين حيث اختلف معظمهم في تحديد الأنواع الفنية، فمحاولة إيجاد وعي إنساني في القصص، عبارة عن محاولة حديثة تهدف إلى تحليل طبيعة الإنسان.

لقد عبرت(فرجينا وولف) في مقالاتها عن الاهتمام و الإلهام الذي يعبر عنه الفنان، في رؤية الخاصة أو ماهية الحياة من زاوية ذاتية. فترى أنّ البحث عن الحقيقة ليس فعل درامي فتقول:"[26]امتحن عقلا عاديا في يوم عادي."بمعنى اختبر عقل الإنسان عندما يكون في وعيه.

أرادت(فرجينيا وولف) أن تضع قالبا لإمكانيات تجسيم الداخلي و حقيقة التي تستعصي التعبير، فلا يمكن أن تهتدي إلى مجرى هذا التجسيم إلا و هو في حالة نشاط أو في الحالات الذهنية غير معبرة عنها.

اعتبر كل من (ويليام جيمس) و (هنري برجسون) على أنّ الوعي هو عبارة عن حركة جريان، الذي لا يمكن للوعي أن يحدد أفكاره التعسفية عن الزمان، و جريان هنا لا يعني بضرورة ذلك الجريان السلس، ويمكن أن الوعي يجري على مستويات تقريبية من اللاوعي.

فتيار الوعي هو عبارة عن اختصار لمسالة سيكولوجية، و الفلسفة و أدب تيار الوعي، و أدب السيكولوجي، الذي يركز على دراسة نقاط التي تختلط فيها علم النفس المعرفة العقلي، ومن المعروف أنّ رواية تيار الوعي تتميّز بمضمونها، فلا يمكن تميزها بألوان التكنيك أو بالهدف، الموضوع

[25]) - روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية، مرجع،سابق،ص،28.

[26]) - المرجع نفسه،ص،ص،43،44.

فالروايات التي يقال عنها تستخدم تكنيك تيار الوعي، هي روايات التي لا تحتوي مضمونها الجوهر وعي الشخصية، فهنا يمكن :"أن نعرف تكنيك تيار الوعي هذا ببساطة أنه التكنيك الذي يستخدمه الروائي ، لتقديم المحتوى الذهني و العماليات الذهنية للشخصية عن طريق وصف المؤلف الواسع المعرفة لهذا العالم الذهني من خلال الطرق التقليدية للقصص والوصف."[27] بمعنى أن التكنيك يهتم بالعملية الذهنية للشخصية الروائية أي انه يعالج جوهر وعي الشخصية التي يهتم بها المؤلف.

إن التجريب الفني له دور مهم في الرواية تيار الوعي، فلقد ظهرت أنواع جديدة من التكنيك القصصي التي اهتمت بإعادة الأضواء ،على أنواع القديمة وهذا ما جعل، يحدث نقاش حول تكنيك تيار الوعي في النقد الأدبي، وهذا ما أدى إلى ظهور اضطراب لا يمكن تفاديه مما أدى اختلاف، في تقديم أنواع التكنيك تيار الوعي من رواية إلى أخرى وهذا ما جعل المرء يواجه مشكلة عندما يعالج قطعة أدبية مبنية ، على التكنيك تيار الوعي فتتحول إلى قطعة أخرى تعتبر على أنّها من تيار الوعي تحمل تكنيك مختلفا، وهذا ما جعل يوجد شبه كبير بين القطعتين ومن المعروف أنّ تكنيك تيار الوعي، لدى القارئ الرواية يحتوي على أسلوب الوصف الذي يقوم به المؤلف في بناء المعرفة الموروثة الأساسية الذي يغير قراء القصص.

إنّ رواية السيكولوجية لدى(ديستوفيسكي)، و(كونديرا) التي أدركت التشابه الأكبر مع الحقيقة و من ثم كسب ثقة القارئ. فتكنيك الرئيسي لتنظيم حركة تيار الوعي ،في القصص قد اهتمت في استخدام أسس التداعي الحر، لعلم النفس و الاعتماد على الحقائق الأولية للتداعي الحر سواء

[27]) - روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية ، مرجع،سابق، ص72.

أكانت دراسة مطروحة لدى (لوك) و (هارلي) أما عند(فرويد) و (يونج) هي عبارة عن حقائق بسيطة، فلا يمكن لذهن أن يركز على حركات شيء واحدة لفترة طويلة ، يقول(روبرت همفري):"ولكي أوضح منهجي فإنني سأشير إلى التبويب ، بسيط يتناول أربعة أنواع أساسية من التكنيك المستخدمة في تقديم تيار الوعي،وهي المونولوج الداخلي المباشر والمونولوج غير مباشر و الوصف عن طريق المعلومات المستعصية ومناجاة النفس، و يضاف إلى ذلك بصفة أنواع أخرى خاصة من التكنيك حولها قليل من الكتاب."[28]إنّ لتكنيك أربعة أنواع مهمة في تيار الوعي بحيث ركز على المونولوج الذي قسمه الروائيون إلى قسمين مهمين وهما المونولوج الداخلي المباشر و المونولوج غير مباشر الذي يهتم بالوصف النفس الداخلية.

14-خصائص أدب تيار الوعي

14-1 المونولوج الداخلي:

المونولوج الداخلي عبارة عن مصطلح يشير إلى تكنيك الأدبي، الذي يستخدم فيه الدقة و ضبط في التطبيق كما يشترك في كثير من الأحيان بمصطلح تيار الوعي. للمونولوج الداخلي نمطين أساسيين و هما:

أ.المونولوج المباشر:

يعد المونولوج المباشر ذلك النمط من المونولوج الداخلي الذي لا يتدخل فيه المؤلف، وهذا ما نجده عند (دوجاردي) في تعريضه طريقة تقديم الوعي القارئ بصورة مباشرة، قال(روبرت همفري):"لقد اثبت المونولوج

[28]) - روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية ، مرجع،سابق،ص،ص،58،57.

المباشـــر، و غيـــر المباشـــر و كـــذلك، الوصـــف المستقصـــي و نشـــر مناجـــاة الـــنفس أنّهـــا فـــي أيـــدي معظـــم الكتـــاب، المهـــرة تســـتطيع أن تحـــول تلـــك الشخصـــية الغريبـــة و الشـــاذة فـــي الـــوعي الإنســـاني، إلـــى مجـــالات القصـــص النثـــري الأصـــيل."[29] بمعنـــى أن المونولـــوج المباشـــر و غيـــر المباشـــر اهتمـــا فـــي معالجة و دراسة الحالة النفسية للشخصية في العمل القصصي.

يعتبـــر المصـــطلح عنـــد(دوجـــاردي) فـــي تحليـــل التكنيـــك علـــى أنّـــه مصـــطلح مفيـــدا لمميزاته،الإحائيـــة العامـــة فظهـــر اخـــتلاف بـــين المونولـــوج الـــداخلي المباشـــر و المونولـــوج غيـــر المباشـــر ، فمـــن بـــين الاخـــتلاف الموجـــودة بينهـــا هـــو اســـتخدام احـــدهما ضـــمير المفـــرد المـــتكلم، و الأخـــر ضـــمير الغائـــب أو المخاطـــب (فـــدوجاردي) قـــد واجهـــت مشـــكلة فـــي الضـــمير الغائـــب فـــي المونولـــوج الـــداخلي، الـــذي يعـــد نـــوع مـــن التنـــاقض فـــي تعريـــف المونولـــوج الـــداخلي الـــذي يســـتخدم ضـــمير المخاطـــب، إنمـــا هـــو قنـــاع الـــذي يســـتخدم ضمير متكلم للمونولوج.

إنّ اخـــتلاف التكنيـــك فـــي مناجـــاة الـــنفس للمونولـــوج الـــداخلي الـــذي يهـــتم للانفـــراد، أو فـــي التســـليم الجمهـــور الحاضـــر فيقـــوم بتقـــديم مجموعـــة مـــن الســـمات، الخاصـــة التـــي تميـــز المونولـــوج الـــداخلي. المتمثلـــة فـــي زيـــادة التـــرابط التـــي تهـــدف فـــي توصـــيل المشـــاعر، و الأفكـــار المتعلقـــة بالحبكـــة الفنيـــة.إذن"فـــالمونولوج الـــداخلي هـــو ذلـــك التكنيـــك المســـتخدم فـــي القصـــص بغيـــة تقـــديم المحتـــوى النفســـي للشخصـــية، و العماليـــات النفســـية لـــديها – دون الـــتكلم بـــذلك علـــى نحـــو كلـــي أو جزئـــي– وذلـــك فـــي اللحظـــة التـــي توجـــد فيهـــا هـــذه العماليـــات فـــي المســـتويات المختلفـــة لضـــبط الـــوعي قبـــل أن تتشـــكل

[29]) - روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية ، مرجع،سابق،ص،81.

للتعبير عنها بالكلام على نحو مقصود."[30]بمعنى أنّ المونولوج الداخلي هي تلك التقنية التي تستخدم في القصص لعرض ، الجانب النفسي للشخصية و الاهتمام بالعماليات النفسية التي توجد فيها مستويات مختلفة لتحكم و ضبط الوعي.

يعد المونولوج الداخلي مصطلح اقرب إلى الحياة النفسية، التي يمكن إشارة إليه بطريقة غير مباشرة إلى الأعماق، التي تظهر تحت المستوى من ملامسة خطابية، فيمكن مقرنتها بتقنية التداعي الحر الذي ينتمي إلى مجال التحليل النفسي و التي تأثرت بها في أمثال ما بعد الفرويدية. يحتوي هذا المنهج على التعبير دون تميز عن جميع الأفكار التي تخطر في الذهن ، فيجد القارئ نفسه عندئذ في موقع المحلل النفسي فالتداعي الحر وتيار الوعي، عبارة عن كشف و دراسة لم يقتصر تحليلها على علماء النفس هناك كثير من الروائيين تمكنوا من استخدام التراكيب غير مرتبطة بالإيقاع العادة ، و الانقطاعات ، و الاستعارات.

فالمونولوج الداخلي يتطرق لقاعدة واقعية نفسية المتمثلة في الحوارات التخيلية، و الحوارات التي تعيد ما تقوله الشخصيات لبعضها، فلهذا يعتقد أن المونولوجات هي عبارة عن استرجاع ما تقوله الشخصية لنفسها فعليا يقول(دوريت كون):"يستنزف خلف المونولوج الداخلي، كثير لا حصر لها من الأحاسيس الصور، المشاعر، الذكريات، الغرائز، و الأفعال الصغيرة المستترة التي لا يمكن لأي لغة داخلية التعبير عنها ،و التي تتزاحم على أبواب الوعي، و تتجمع في مجموعات مكثفة و تنبثق فجأة و تتفكك على

[30]) - روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية ، مرجع،سابق، ص،59.

الفور و تنظيم بطريقة مختلفة لتعود إلى ظهور في شكل جديد."[31]يقصد هنا أن المونولوج الداخلي يعالج الحالة النفسية المتعلقة بالأحاسيس والصور، و الشاعر، و الذكريات، و الغرائز التي لا تستطيع التعبير عنها فتتكثف و تتزاحم الوعي ثم تأتيه بطرق جديدة.

يعتبر المونولوج الداخلي ذلك النوع الذي يلقى أفكار لاواعية، التي تظهر على شكل مجموعة من التداعيات غير المناسبة، و الهفوات، و التكرار وغيرها من الأشكال الأخرى من التوكيد و التورية.

إنّ المونولوج الداخلي ظاهرة غير متعلقة باللاوعي الفرويدي، أو الدفق الداخلي كما يقول(بيرغسون) ليس عبارة عن تيار الوعي بحسب (ويليام جيمس)، بل هي ببساطة ذلك النشاط المتعلق بالذهن الذي أطلق عليه علماء النفس باسم اللغة الداخلية، الذي يهتم بالتلفظ الباطني الذي أشار إليه الكثير من المفكرين منذ (أفلاطون).

اهتم (ويليام جيمس) بقراءة (ايغر) ولكن لم يتطرق لمعرفة تيار الوعي وإنّما وجد اعترافا بوجود مكونات نفسية مرئية، فلقد تجاهل النقاد هذه الجزئية باستخدام عبارتي مونولوج الداخلي ،و تيار الوعي فهناك كثير من الفلاسفة المعاصرين قد تعمقوا في دراسة و البحث أكثر مما وصل إليه (ويليام جيمس) ، في فصل بين الفكر و اللغة لقد رأى(برغسون) أنّ الفكر المحض مستقل أي صياغة خطابية فلا يمكن للكلمات أن تشوهه وهذا ما جعل العلاقة مرتبطة بين المونولوج الداخلي ،و نظرية(برغسون) حول الحياة الذهنية أكثر هشاشة من الربط مع تيار الوعي.

[31]) - دوريت كون، الشفافية الداخلية أشكال الحياة النفسية في الرواية ،تر:د قاسم مقداد، دار نينوى، سوريا، ط.1، 2022، ص116.

إنّ دراسة العالم الفرنسي (فيكتور ايغر) عنوانها(الكلام الداخلي دراسة نفسية وصفية) ، عبارة عن دراسة متعلقة بإطار النفس التقليدي المحض لم يهتم مؤلفها إلا الآليات الواعية، ولم يرغم قط التطرق إلى علم النفس الأعماق ، و يعرض موضوعه بالقول:"إن النفس تتحدث داخليا عن فكرها في كل لحظة."[32]بمعنى أن النفس تجري حوارا مع نفسها

اتبع (ايغر) نهج الروائيين الذين سبقوه، فهتم بالاستبطان فالاستبطان لا يزال يستخدم إلى يومنا و يعتبر السند الأساسي للخطاب الداخلي ، فنجد أنّ أغلبية علماء النفس لا يتفقون مع (ايغر) على أنّ جميع الأفراد يحدثون أنفسهم داخلي، كما نجد أيضا بعض المؤلفين يتفقون في وجهة نظره كما حاولوا أن يستبعدوا المونولوج الداخلي ،و يعتبرون أن الخطاب الداخلي و الأشكال الأخرى منفصلة عن بعضها،(كاموزيل) و(بروست) و(ناتالي ساروت) اللذين استعملوا تقنية المونولوج بطريقة مختلفة ، كما أصبحت على من يجعلون الوعي فكرة كلامية فقط. يشهد(ديستوفيسكي بصفحات كاملة من المونولوج الداخلي من دون أي تحذير في خطبة عنيفة إلى ما بالتحفظ الأتي:"لا احد يجهل أن سلاسل طويلة، إلى حد ما من الأفكار تجول أحيانا في رأسنا في طرفة ،عين في شكل تفكرات غامضة لا يمكن التعبير عنها بلغة بشرية، أو بلغة علمية تحديدا لكننا سنحاول ترجمة تفكرات و بطلنا و نقدم للقارئ، ما هو أساسي منها في الأقل و ما كانت تتضمنه من ضروري محتمل إذا جاز القول لأن من تفكراتنا حينما تترجم إلى لغة بشرية ،لا تكون غير محتملة على نحو القطعي لهذا لا تأتي دائما واضحة، ولا سيما أن لكل منا تفكراته

[32]) - دوريت كون، الشفافية الداخلية أشكال الحياة النفسية في الرواية، مرجع سابق، ص.،113.

الخاصة.» بمعنى أن لا يمكن أن نترجمه الأفكار التي توجد في العقل ولا يمكن أن نعبر عنها باللغة البشرية أو اللغة الأدبية.

مازال يوجد في رواية تيار الوعي إلى يومنا هذا المونولوجات المصطنعة و المتناقضة، فا(فولكنر) يتفق الرأي مع(ديستوفسكي) حول عدم اهتمام الخطاب بالأفكار العابرة، لم يكف استباق أفكار(جوكر يستماس) بعبارات تتكر الخطاب الداخلي يقول (ويليام فولكنر)"إنه ليس فكرة على الإطلاق فهو إما بالغ السرعة، و إمّا بالغ الاكتمال أما بالغ السرعة بالنسبة إلى الفكرة."[33]يقصد (ويليام فولكنير) في كلامه على أنّ لا يوجد خطاب داخلي في النصوص الروائية، فيمكن أن تكون قد استعملت لغرض السرعة أو الاكتمال أو أصال فكرة .هناك عديد من الشواهد متعلقة بالخطاب الداخلي ،الذي يستبقه تحذيرات تنبيه إلى الأمر فهذا يعني أن ننسخه حرفيا بل نقلا يقوم به الراوي لتعبير عن أفكاره الأولية التي عبرت عنها الشخصية بطريقة أو بأخرى.

14-2المونولوج المستقل:

تتكون المونولوجات الداخلية المستقلة على مادة بحث محدودة التي يمكن أن نصنفها ، في بيني كوب فالمونولوج مولى بلوم في نهاية رواية ليس وصفا للمرجع الكلاسيكي ، فنجد أمثلة الأكثر شهرة في اكتمال هذا الجنس فإذن المونولوج الداخلي يحدد بالخطاب ولا يتوجه إلى شخص هو عبارة عن اضطراب كلامي مجاني، ليس له علاقة بأي مشروع تواصلي فتكمن هيمنته في ربط بطبيعته مع المونولوج نفسه ، يقول (دوريت كون):"المونولوج الداخلي المتواصل الذي يقوم فعلا على الربط المطلق

[33] - دوريت كون، الشفافية الداخلية أشكال الحياة النفسية في الرواية مرجع سابق، ص.،112.

بين الزمن، و النص وبين الزمن القصة ، و زمن السرد المؤشر الوحيد على جريان الزمن في النص، هو تتابع الكلمات فوق الصفحة."[34] بمعنى أن المونولوج الداخلي له علاقة بالزمان النص و يقوم على الربط و التتبع الكلمات في الرواية.

فيلاحظ الباحثين في القسم الأول من المونولوج أنّها كثرة الذكريات و التي يبدو أن الماضي يغلب الحاضر ،لان كل العبارات و الجمل كانت تعبر عن الزمن الماضي، كما أنها تظهر أحيانا على أنها سرد محض لا يوجد من أحداث الماضية ولا ترتبط بأفعال وقواعد التي تعبر عن التفكير.

14-3المونولوج الاستذكاري:

تطلق تسمية التسلسل الزمني للمونولوج السيري على النوع من السرد الذي ينتج أثرا بلاغيا كبيرا، ومن غير المعقول أن تبدأ أول من الناحية النفسية بحيث يقوم الإنسان برواية سيرته لنفسه ، ومن المعقول أن تبدأ العملية في تعرف المتكلم محددة الهدف ، أو الإدلاء باعتراف عام أو خاص إنّ الأفكار في المونولوج السيري الذاتي عبارة عن رأي مسبق حول دقة التسلسل الزمني، و توجهه إلى زمن الماضي فأغلبية من المونولوجات تجلى المكان لأحداث ماضية كما نجد في المونولوجات الضجيج والهيجان، أمّا في المونولوجات الداخلية توجد أحداث الماضية التي تشير الزمني للاسترجاع اللحظات الذكرى الحالية ، فيكون منفصلا تماما عن الماضي. فالمونولوج السيري الذاتي لا يشترك مع المونولوجات المستقلة الأخرى إلا بخاصية ، مميزة واحدة و تقوم على إلغاء أي صيغة للعرض الوضعي فهي صفة لازمة ضرورية و لكنها غير كافية للإبهام الذي يرتبط به المونولوج الداخلي، وهذا ما نجده في المونولوج المستقل حيث

[34]) - دوريت كون، الشفافية الداخلية أشكال الحياة النفسية في الرواية، مرجع سابق، ص 280.

يقوم البطل باهتمام بالتجربة الماضية ،و يسمى هذا النوع من المونولوج بالمونولوج الاستذكاري ، الذي يغيب فيه دقة التسلسل الزمني في الثاني وهذا النوع يصنف ضمن السرد الاستذكاري الذي يتعلق بالذاكرة.

المحاكاة عبارة عن عملية معزولة داخلية تماما لا تقتضي تسلسلا زمنيا فمقصود أن المحاكاة لم تعد تعلق على الاتصال السيري الذاتي بل تتعلق بالذاكرة المنخرطة نفسها يقول(سيمون)"لا أملأ الفراغات إنها تبقى بكونها أجزاء."[35]بمعنى لا املأ الفراغات لأنها تظل جزءا من المعنى.

إنّ المونولوج الاستذكاري يدفع الذهن للعودة إلى الماضي ، وهذا النوع من المونولوج المستقل يقوم باسترجاع الذاكرة، و تتقارب ببعضها البعض من دون أن تربط النطق أو التعبير الذي يدور في الزمن، تعد مزية البنيوية الوظيفية المعطاة في الخطاب التذكر للأحداث المراحل التي تتعلق بالذاكرة فتقوم هذه المرحلة على جمع الذكريات المنبثقة في الذهن والتي تبدأ بالمرحلة الطفولة ، أو حتى بالتاريخ الأسري وحتى تشمل السن البلوغ فتأتيه بمراحل عشوائية ويسمى هذا النوع بالنصف الزمني. يختلف المونولوج الاستذكاري من المونولوجات الأخرى بتفرغه للحظة الملفوضية أي يتعلق بتجربة الحاضرة و الآتية، فيكون صاحب المونولوج سوى وسيط و في هذه المرحلة الغير مجسدة أو ذاكرة ،فلا يكون لديها زمان ،أو مكان فيأخذ شكل المونولوج في وصفه الذي يتقلص إلى درجة الاختفاء في العملية التذكرية"تبرز مسالة زمن التذكر نفسها في المونولوج كانتان ، لكن هناك مزيد من التنوع في العلاقة بين سرد اليوم الأخير والذكريات الأقدم و يمكن تقليص بنية النص إلى أنموذج متجانس حتى في الالتباس."[36] أن

[35]) - دوريت كون، الشفافية الداخلية أشكال الحياة النفسية في الرواية، مرجع سابق، ص 246.

[36]) - مرجع نفسه ، ص 332.

يظهر الزمن التذكر في المونولوج الذي يربط بين السرد الحاضر والذكريات ، الماضية بحيث يقوم على تصغير بنية النص ويصبح نموذجا متكاملا و متجانسا في بناء أفكار النص.

تكمنوا أهمية البنية الزمنية المتدرجة للمرحلة الماضية في تضمنها لبينيلوب، المتعلق بمستوى الزمني الذي يشوش الذكريات و يرتبط بها دوريا ، فنجد أنه يختلف في المونولوج الاستذكاري في الالتباسات الإضافية،و تعد هذه المرحلة تحريضية التي لا تتميز عن الذكريات السابقة باستخدام زمن مختلف على القارئ أن ينبه لوجود مؤشرات أخرى حيث يقول(دوريت كون):"المونولوج المسلسل زمنيا كما نرى يتحول إلى مونولوج استذكاري، حيث تحل محله ذكريات لا تنتمي إلى تسلسله."[37] إنّ النمط الذي يتعلق بالالتباس الذي يهدد باستمرار المونولوج الاستذكاري كونه جنسا، الذي يرتبط بالتشويش الذي يظهر في جميع أشكال، السرد الاستبطاني بضمير المتكلم بحيث تنتمي الأفكار الزمن السابق أو الماضي الذي يكون منفصلا عن الخطاب السردي.

14-4المونولوج المنقول:

إنّ المونولوج الداخلي المنقول أصبح تقنية سردية معترف بها في منتصف القرن التاسع عشر، تقريبا ولكن قبل هذا القرن كان أبطال الروايات يستخدمون المونولوج بطريقة عشوائية غير منتظمة ، تقوم تقنية المونولوج على تصوير اللغة الحقيقة التي يصعب إثبات وجودها ،أو تحديد نموذجها بدقة و التي نميز بين الحوارات المتخيلة على محاكاة سلوك ويمكن ملاحظته بشكل مباشر في الواقع البشري. فالمونولوج يدعي تمثيل نشاء لغوي خفي لا يمكن تأكيد بشكل موضوعي، فلهذا نجد نموذج

[37]- دوريت كون، الشفافية الداخلية أشكال الحياة النفسية في الرواية مرجع سابق، ص 333.

(دوريت كون):)"في الرواية النفسية الحديثة نجد أفعالا تعبر عن التفكير في الحوار مباشر من المونولوجات الداخلية."[38] المقصود من هذه العبارة أن الراويات الحديثة النفسية، قد اهتمت بالجانب النفسي الداخلي على الأفعال و الحوارات الداخلية للشخصية الروائية.

في الخطاب المتوافق مع الأصول ظهرت أفكار في الرواية المكتوبة بضمير المتكلم ذي طابع انطباعي، فصادف المونولوج المنقول لعديد صعوبات المختلفة بين الأفكار الحالية و الأفكار الماضية و إشباع النص بالأمثلة و الشواهد الثقيلة.

إذا تأملنا في عجز الراوي بضمير المتكلم على عكس الراوي بضمير الغائب الذي يستطيع العودة إلى الخطاب سابق ، وإذا أراد الراوي المتكلم العودة إلى أفكاره القديمة يجب أن تكون ذاكرته قوية ،و كاملة و الاستعانة بشواهد، و الأمثلة الطويلة التي تساعد الذاكرة و خدعة غير طبيعية التي وردت في سيرة ذاتية أصلية، ويتضح في هذه العبارة:"ما يتضح من صهر الأفكار الحالية و الأفكار القديمة ببعضها أو تشويشها من جانب الراوي في السرد بضمير المتكلم عبارة عن توجيه هدفه اختصار المسافة الزمنية بين الأفكار التي تعود إلى فكرة ماضية و بين شاهدها الحالي أي الاستشهاد بها في الوقت الحالي."[39] يقصد من هذه أن جمع الأفكار الحالية و الافكارة القديمة ببعضها من منظور الراوي بضمير المتكلم حيث يقوم بتقريب الزمان بين الأفكار المتعلقة بزمان الماضي و بين الحالي مع تقديم الأمثلة في الزمن الحالي. إنّ اختصار الكلام في المونولوج مع تغير

[38]) - دوريت كون،الشفافية الداخلية أشكال الحياة النفسية في الرواية، مرجع سابق،ص 95.

[39]) - مرجع نفسه،ص 221.

إيقاع المونولوج المنقول كما نجده عند (دستويفسكي) و (الكتاب الواقعين)، الذين لم يهتموا بمشاهدة الأفكار شخصية المعنية بقدر اهتمامهم في التأمل العميق أو التدقيق الداخلي، فالمونولوج المنقول أو المسردن يقومان على تصوير الحياة الداخلية إلى التسلسل الزمني للخطاب الغير منطوق، نلاحظ أن الزمن السرد يكون قريبا مع زمن القصة أما السرد النفسي يتميز بمرونة لا حدود لها من حيث المدة فيمكننا تقليص تطور داخلي عبر الزمن، مع تتبع الأفكار و المشاعر و تعظيم لحظة من لحظات الحياة الداخلية أو تفصيلها.

15-المونولوج و الخطاب:

على رغم من وجود العلاقة العكسية لحركة تعويضية بين ذاتية الراوي وذاتية الشخصية ، التابعة لمشروعية تاريخية وهذه المشروعية تتراجع عندما يكفل الراوي بأشكال السرد الظاهرة في الرواية النفسية حيث يتصدر الكائن المتخيل واجهة المشهد الذي يختلف اختلافا كبيرا، في ابرز الوعي الذي ينقسم إلى نوعين رئيسيين :

أ. النوع الأول: عليه راو يظهر بكثرة ولكنه يبقى منفصلا عن الكائنات التي تتحمل الحركة و يرتبط بالذات الشخصية ارتباطا دقيقا.

ب. النوع الثاني: ويكون فيه راو مستسلم و خاضع للوعي الذي يتكون منه موضوع السرد.

إنّ المعرفة التي توضح بعض الأبعاد الشخصية المتخيلة ، حيث تفصل هذه الشخصية أولا عن عدم كشف عن خاصيتها ثم تحاول أن تكشف عن هذه الخاصية فظهر اتجاهين مهمين، احدهما متعلق بالأعماق النفسية و الأخر متعلق بالتعبير عن الأحكام ، وهذا ما جعل الراوي

والشخصية يختلفان عن نحو خاص. فيخص الحديث عن مستويات الوعي التي تعجز ذاتية الشخصية التعبير عنها، كلاميا بشكل واضح أنّ الباحث قد رفض بهذا و حاول التجنب القول:" بأن هذا الشكل عبارة عن سرد وعن راو بخصوص متحدثة، حتى لو كانت شخصية رئيسية تقتضي بالتأكيد وجود شخصية متخيلة."[40] بمعنى أن الراوي في السرد يعتمد على متحدثه حتى وان كان شخصية رئيسية فلا بد من وجود شخصية متخيلة.

اعتبر المونولوج المستقل عبارة عن شكل متخيل، ليس له علاقة مع السرد إنّ العلاقة الموجودة بين المونولوج المستقل،و الأشكال السردية المكتوبة بضمير المتكلم التي يمكن فهم مناقشتها الأولى، التي جرت حول نشأتها فظهر الاختلاف الذي دار بين (ديجار دان) و (اندريه جيد) و(رونتهلالو) وغيرهم من جهة أخرى، إذا تحولنا النظرية إلى التطبيق فهنالك منطقة مشتركة بين السرد بضمير المتكلم، و من جهة البحث و جهة التي تتجاوز اللحظات المعبرة عنها بالحاضر الزمني الذي لم يهتم به كل من السرد و المونولوج إلا أنهما حاولا العودة ، و الاهتمام بزمنهما الأساسي والماضي التاريخي بالنسبة إلى المونولوج المستقل، و الحاضر بالنسبة إلى المونولوج يقول(دريت كون):"أي مرجعية زمنية و يتذكر القصة التي ينقلها بوضوح كبير كما لو أنها تدور تحت نظرية حاضرة التذكر، هذا إذا جازلي استعارة هذه العبارة من (ليوسبيتزر) لدلالة على الزمن التاريخي في سياق مكتوب بضمير متكلم على الرغم من انه منطقيا، يحيل إلى تجربة ما فيه فهو يخلف مؤقتا وهم التلاقي بين مستوين زمنيين فيستحضر زمن القصة حرفيا، و الفعل من الزمن في زمن السرد وهذا الإيحاء بالتزامنه يمنح الخطاب مظهر تزامنه حققية للمونولوج

[40] - دوريت كون، الشفافية الداخلية أشكال الحياة النفسية في الرواية ،مرجع،سابق،ص232.

المستقل."[41] بمعنى أن زمن تذكر القصة لها علاقة بنظرية التذكر، التي اعتبرها ليوسبتزر على أنها دلالة زمنية مكتوبة بالضمير المتكلم ،الذي يبرز زمن القصة حرفيا و زمن السرد بالفعل و هذا ما جعل المونولوج المستقل يمنح للخطاب مظهر تزامنيا.

برغم من تنوع النصوص المكتوبة بضمير المتكلم إلا أنها تشترك في نقطة واحدة ،هي وجود الراوي في المراكز الحيوي للسرد بحيث تمسك بالماضي المتعلق بصيغة السردية، مغاير و معروفة جيدا أي يظهر ضمير المتكلم المتصل في الواقع الشاهد فيركز الراوي على الشخصيات الأخرى وحاول أن يجعل من نفسه كاتب لوقائع التجربة جماعية ماضية مهمة اهتم في استخدام الماضي القواعدي لهذا النوع من السرد بضمير المتكلم الذي يبقى بعيدا عن أي مونولوج داخلي.

سعى المونولوج أن يكون حوارا مسموعا و خطاب مستمر يوجه إلى الذات، إذن الخطاب يعتبر وصفا ملفوظا أو تصوير لوجود متكلم ومستمع الذي يؤثر الأول على الثاني ، إن الزمن الذي يهتم به الخطاب هو الزمن الحاضر الذي يعيد زمنا أساسيا فيمكن للخطاب ان ينتقل بسهولة إلى الماضي أو المستقبل عبر الزمن الماضي التام أو المستقبل مع وجود ضمير متكلم فهو ضمير أساسي.

ظهرت الملفوظية التاريخية التي تعد تكملة سردية موضوعية تتميز باستعمال الزمن الماضي، و ضمير المخاطب أي هناك غياب حالة المتكلمين أو متلقين إذ لا احد يتحدث بل هي الأحداث التي تروي نفسها،و يقول (بينفينيست):"نرى إذا في منظومة بنيفينيس إن جميع

[41] - دوريت كون، الشفافية الداخلية أشكال الحياة النفسية في الرواية ،مرجع،سابق،ص262.

النصوص المركزة، على شخص المتكلم حتى لو كانت مكتوبة كلها بالماضي، تنتمي إلى نظام الخطاب وليس إلى نظام القصة.» يقصد أنّ النصوص المكتوبة بضمير المتكلم كلها تابعة إلى الزمن الماضي لأنها تنتمي إلى الخطاب وليس القصة.

أشار(جان ستاروبينسكي)إلى التغير الجذري الذي لا يمكن ان يوضح الاختلاف الذي يقع داخل الجنس ألسيري الذاتي، وإن اعتبر الضمير المتكلم أنا ينتمي إلى الخطاب ملفوظ الذي يتخذ أشكلا متنوعة جديدة المتعلقة بالعلاقة الموضوعية و التعبير الذاتي فقدم (ستاروبينسكي) تغير منظومة (بينفنيست) الثنائية في اتجاه تطبيقي الذي يعد أسهل طريقة من تصنيفه للأشكال السردية المعبرة بضمير متكلم، تعتبر السيرة الذاتية جنس الذي انبثق فيه المونولوج الداخلي، في التخيل فهو يهتم بسيرة الذاتية الحقيقية و التاريخية فلا بأخذ بعين الاعتبار الشخصيات المتخيلة التي تعبر عن أفكارها خطابية التي توجهها إلى الشخصية، المعينة على نحو الخاص فالمونولوج لا يوصف على أنه خطابا ففي تعريف الخطاب نجده ملفوظ يفترض وجود متكلم و مستمع.

الحاضر غير الزمني يظهر في كل من السيرة الذاتية و المونولوج الداخلي، بنفس الأهمية فهو يحدد مجالا يتجاوز فيها العملان بزمن الملفوظة فيعتمد على الجمل الغير الشخصية الخارجية، والعلاقة بين أنا وأنت فهو خاص بالدراسة المجال الفلسفي و ليس الخطاب،بحيث"تقول لنا قواعد اللغة إن من شان الزمن الحاضر، الدقيق الذي يضع عملا منظورا إليه من حيث خصوصية في لحظة ملفوظية الحاضر التكراري ،أو الدال على الاعتياد و يعبر عن عمل يتكرر ،و الحاضر غير الزمني أو المطلق الدال على حقائق أبدية للجمل ،التي تعد بكونها دائما بمنزلة

صحيحة."[42] بمعنى أنّ الزمن ينقسم إلى ثلاثة مستويات مهمة المستوى الأول هو الحاضر الدقيق الذي يهتم بأعمال العائدة إلى الماضي المستوى الثاني، الحاضر التكراري الذي يعتبر عن تكرار الأحداث المستوى الثالث هو عبارة عن حاضر غير زمني فيدل على العبارات الصحيحة الدالة عن الحقائق.

إنّ تركيب النص السردي الذاتي يلتقي مع تركيب المونولوج الداخلي، الذي يعبر عن الزمن الذي يصفه الراوي خلال تفكيره الذهني.

16-السرد النفسي:

يتجنب السرد النفسي في بعض الروايات التي يسيطر عليها الراوي طاغي،بقيادة الشخصيات التي تمر بالعديد من التغيرات الزمنية والمكانية،بقيت هذه الصيغة في السرد بضمير الغائب المسيطرة على الرواية حتى القرن التاسع عشر واستمرت لفترة لاباس بها في القرن العشرين، فكانت الروايات المروية بضمير المتكلم تهتم في دراسة الحياة الداخلية لشخصية بشكل مباشر أما الروايات المروية بضمير الغائب كانت تهتم بتصرفات و أفعال الشخصيات، رسمت الشخصيات لدى (ديكنز تورغنيف) و(تيودور فونتان) أصحاب الرواية الأخلاقية الذين اعتمدوا على السياق أكثر من اعتمادهم على الحياة الداخلية.

يتميز السرد النفسي في رواية في إظهار دور الراوي، في بداية الجملة أو جملتين المتعلقة بالزمن الماضي ثم تليها جمل طويلة متعلقة بالزمن الحاضر ،يقول(دوريت كون):"في سرد يبرز فيه تأثير قويا لا جدوى من الحياة الداخلية للشخصية ،إلا أنها تتيح صياغة حقائق عامة حول

[42]- دوريت كون، الشفافية الداخلية أشكال الحياة النفسية في الرواية ،مرجع،سابق ص 253.

الطبيعة البشرية."[43]بمعنى أن السرد يظهر تأثير واضح الذي لا يهتم بالحياة الداخلية للشخصية ،برغم من أنها تساعد على فهم ما يدور بالحياة البشرية.

إنّ السرد الذي يعتمد على السرد النفسي و يتبع مبدأ العدوى الأسلوبية،الذي لا يستمر دون أن يقع في المونولوج المسردن من اجل حمل معزولة، أو تمهيلات ، أو التساؤلات التي تتميز بها التقنية . ظهرت مجموعة من التقنيات التي تظهر الحياة الداخلية للشخصية، التي تحاول إنّ تفسر القرابة الوثيقة بين السرد النفسي الذي ينسجم مع الطرائق المباشرة للمونولوج المتواجد داخل رواية تيار الوعي.فنجد هذه العبارة التي تلخص ما يلي:"مر بنا إحدى المزايا الأساسية للسرد النفسي التي تميزه من غيره من التقنيات الخاصة،بإبراز الحياة الداخلية تمكن في إنّ صياغة الخطابية لا تتطلب من الشخصية قدرة على ترتيب الأفكار الواعية للشخصية ،و تفسيرها بأفضل مما تقوم به هذه الشخصية نفسها فحسب بل يمكنه أيضا أن يعبر على نحو فعال عن حياة ذهنية، لا يفصح عنها الكلام أي غامضة و مشوشة."[44]يقصد أن السرد النفسي له خصائص أساسية في إظهار الحياة الداخلية التي تقوم على صياغة الخطابية ، التي لا تستدعي الشخصية ان تقوم بترتيب أفكار المدركة فيمكن شرحها أفضل من الشخصية بل يمكنه أيضا ان يجسد الحياة الذهنية دون أن يقول عنها كلام غامض أو مشوش.

يهتم السرد بالمستوي ما تحت الوعي(مالا يمكن إدراكه)، وهذا ما يجعل الراوي يجيز لنفسه طرح مسوغات أكثر بساطة ولكن غالبا ما نجد الرواة

[43]- دوريت كون، الشفافية الداخلية أشكال الحياة النفسية في الرواية ،مرجع،سابق ص 44.

[44]- مرجع،نفسه ص ،ص 74.73.

يحرصون على انتباه القارئ ووضوح طبيعة الأوضاع، ما تحت الواعية أو اللاواعية التي يصفونها أو إلى عجز التعبير المباشر من جانب الشخصية.

لا يمكن فصل السرد النفسي عن الأحاسيس التي تكون داخل الذهن الشخصية انطلاقا من جسدها أو من العالم الخارجي، إن الروايات التي تهتم بالجانب الداخلي على نحو خاص و تربط بوصف العالم الخارجي والانطباعات الذاتية ربطا وثيقا فلا يكون هناك حد بين العالم الأشياء والصور الداخلية. إنّ مجموعة من الأفعال الدالة عن الإدراك الموضوعي التي توضح إلى ما تراه الشخصية و ما تسمع فتربط احدها مع النفس الأخرى مع العلم الخارجي فلهذا لا يمكن لسرد النفسي أن يميز وصف الموضوعي كما يصعب التطرف إلى تفسير مجالي أي العالم الخارجي والعالم الذاتي – تفسير سنجده مع تقنيات المونولوج–إلاّ على نحو مختصر وذا ما يظهر في مثال (دوريت كون):"يتطلب سرد الأحلام في الرواية مزيدا من التنوع للمنهجي، في الهلوسة يكون العقل مشلولا أمّا في الأحلام فتنشا ردود أفعال و تفاعلات عدة بين العقل الحلم ، و التجربة الحلمية على رغم من أنّ الحلم يتضمن غالبا أفكار الفاعل المتعلقة بحلمه."[45] بمعنى أنّ سرد الأحلام في الرواية دائما يحتاج إلى التنوع لأن العقل غير قادر، على الاستيعاب بينما في الأحلام يكون العقل متفاعلا مع التجربة الحلمية. يعتبر السرد النفسي، و سرد التخيلات، و الأحلام من أكثر المناطق الغامضة في العقل، المتعلقة في الكشف الأعماق الداخلية للإنسان.

[45]- دوريت كون، الشفافية الداخلية أشكال الحياة النفسية في الرواية ، مرجع،سابق ، ص 80.

فصل ثاني

أشكال تصوير الحياة النفسية في الرواية

ملخص للرواية:

(جهيدة) فتاة مناضلة و صابرة على مشقة الحياة، لقد أفنت شبابها في الاعتناء بأبيها المريض و رعاية أخواتها، كانت تعيش حياة صعبة مليئة بالألم و المعاناة خاصة عندما حرمت من ميراث أبيها، باعتبار المجتمع العربي خاصة المجتمع السوري لا يعترف بحقوق المرأة.

بدأت أحداث الرواية بمشهد (زيزفون) وهي على فراش الموت، ولكنها لم تمت بل فقدت وعيها من شدة الإرهاق و التعب، فأغمي عليها مدة ساعتين في بيت أخيها برهوم، فظن الجميع أنها ماتت.

وعندما استعادت وعيها، اهتز كيانها عندما قال لها الطبيب حمد الله على سلامتك يا جهيدة، بدأت (زيزفون) تسترجع ذكرياتها التي عاشتها في الماضي.

كانت (زيزفون) البنت البكر في أسرتها ولها ثلاث إخوة (إبراهيم، شعبان، وعواطف)، تعيش في الضيعة بين اللاذقية و الشام، و كان منزلها من طين له ثلاث عرف و فقد استعملوا إحدى العرف للاستقبال المسافرين لان بيتها يقع أمام المحطة الباصات.

فمنذ أن كانت صغيرة واجهت (زيزفون) مشكلة بسبب اسمها فالأب قد اختار أن يسميها بجهيدة أمّا الأم أرادت ان تسميها (زيوفون)، وحتى هي كانت تكره اسم جهيدة و تحب اسم (زيزفون) فطلب من كل من يعرفها أن يناديها بهذا الاسم فبقى في قلبها حصرة و ندم لأنها لم تقم بتغيره. فجهيدة بالنسبة لها يعني الألم، الأحزان، المعاناة، المشقة لهذا لم ترغب بهذا الاسم أمّا (زيزفون) تعتبره اسم يرمز إلى الحب، الحياة، التفاؤل، الراحة لهذا أصرت أن ينادونها بهذا الاسم، ولكن الماضي كان متشبث بها، لهذا عاد اسم جهيدة مرة أخرى.

كانت (زيزفون) فتاة حالمة طموحة تحب القراءة و مطالعة الكتب و سماع الحكايات، فولدت لديها رغبة في السفر و اكتشاف العالم،عندما بلغت السن الخامس عشرة وقعت في حب

أديب شاب من ضيعتها ولكن هذا الحب جلب لها الصدمة و الألم عندما اتهمها أديب بالخيانة مع أستاذ الذي جاء ليدرس في ضيعتها، فنتشر الخبر بين أهل ضيعتها و اتهموها بإقامة علاقة غير شرعية بينها و بين الأستاذ،هذا ما جعل تقوم باختبار أبو طاقة حتى تثبت برأتها أمام الناس.

شعرت (زيزفون) بالحزن على ماحدث معها، ولكنها أرادت أن تنتقم من جميع الناس الذين كانوا ضدها في إحدى الليالي قررت (زبزفون) أن تحرق مزار أبو طاقة رد على كرامتها لأنها كانت هذه المعتقدات المتخلفة، فقررت أن تصمد و تتحدى الصعاب في حياتها.

مرضت أم (زيزفون) بالسرطان القولون وهذا ما جعلها تترك دراستها حتى تساعد أمها المريضة في أعمال البيت، ماتت أم (زيزفون) وتركت حزن و الم شديد في نفسيتها و فراغ لأنها أصبحت وحيدة تعتني بإخوتها و أبيها العجز.

لم يكن (لزيزفون) أصدقاء بل كانت منعزلة على مجتمعها الذي لم يرحمها فكان تثق إلاّ بمنير وسعيد اللذان تعتبرهما سند لها و مصدر قوتها، اعتمدت (زيزفون) على الدفتر من اجل أن تكتب حكايتها و تبحث غيها عن سبب عيشها في الحياة لهذا اعتبرت الدفتر الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تكتب عن ذكرياتها الأليمة، كانت مستاءة من الحياة و أرادت الموت من اجل أن ترتاح من العذاب الذي عاشته منذ ان كانت صغيرة.

قررت (زيزفون) أن تبحث عن عمل حتى تساعد والدها في مصاريف بعد وفاة ولدتها من اجل أن تعيل إخوتها، فكانت تعمل كنادلة في مقهى الجامعة، وعندما رأت الجامعة شعرت بالأسى لأنها لم تتمكن من أكمال دراستها فأصبح كالحلم الذي لم تحققه في الواقع، ذات مرة بينما كانت عائدة من بيت أخيها حدث انفجار عنيف في الطريق، شعرت بالخوف على أبيها المقعد وعندما وصلت قابلها منير لقول لها بان سعيد مات، فصدمها هذا الخبر و جعلها تدخل في دوامة الخزن و الأسى لأنها لم تكن تظن أنها سيأتي و تفقد شخصا عزيزا عليها فاكتشفت أنها كانت مغرمة بسعيد وأنها لا تستطيع ان تتخيل نفسها بدونه لأنه سندها ووقف

إلى جانبها بعد تعرضها لذالك الاختبار. ارتبكت (زيزفون) و شعرت أنّ العالم مظلم عندما سمعت ذلك الخبر، فكان تحاول أن تخفي مشاعرها أمام والدها العاجز لأنه لم يسمع بخبر موت سعيد، دخلت إلى غرفتها و فبدأت تتذكر ألقاءات و الاحديث التي جرت بينها وبين سعيد، لم تتمكن (زيزفون) باعتراف بمشاعرها لسعيد كانت تود ان تقول له بأنّه أصبح عالمها و لكن الموت خطفه منها، لهذا شعرت إنّها وحيدة فعلا بعد ان فقدت حب حياتها.

استمرت أخزان (زيزفون) بعد أن فقدت أختها عواطف، و تأثرت بموتها كثيرا لأنها ماتت منتحرة وهذا ما ألمها لأنّها سمحت لها أن تعمل كممرضة، و وفاة والدها الذي تركها وحيدة في ذلك البيت فلهذا تراكمت أحزانها لأنّها ليس لديها احد خاصة ان إخوتها برهوم و شعبان لم يحضروا إلى جنازة والدهما، وذات مرة جاء شعبان لزيارتها ثم طالب منها أن تقدم له الأرض و تخرج من البيت الذي فنت عمرها من اجله، تأثرت (زيزفون) بكلام أخيها الذي لم يفكر فيها فحزنت لأنّها شعرت أنّها لا قيمة لها وأنّها مهمشة من طرف إخوتها الذين أرادوا أن يحرمونها من حقها في الميراث، تألمت (زيزفون) لأنّها ضحت بحياتها من اجلهم فلم تتزوج ولم تنجب الأولاد بسبب رعاية أسرتها، لكنهم لم يقدروا تلك التضحية.

الأمر الذي جعل (زيزفون) تصرخ باكية حزينة متأثرة عندما احترق منزلها و احترق الدفتر وذكرياتها التي عاشتها في ذلك البيت، فشعرت أنّ حياتها لا قيمة لها خاصة وهي في ستين من عمرها، فكان منير إلى جانبها فكان يبعدها عن المكان حتى لا تتأذى، ولكن جراحها عميقة بعد أن راحت ذكرياتها و عمرها.

مدخل:

تطرح رواية (اسمي زيزفون) قضية معاناة المرأة السورية في ظل السلطة الذكورية في المجتمع السوري المحافظ، من خلال شخصية بطلة الرواية (زيزفون) أو (جهيدة)، والتي عاشت معاناة كثيرة مع المجتمع المتسلط باسم القيم الذكورية.

وقد قدمت الرواية تحليلا نفسيا لشخصية (زيزفون) في صراعها النفسي بسبب سلطة العادات والتقاليد الاجتماعية في المجتمع السوري، وهي تمثل نموذجا للمرأة العربية العاملة التي قدمت تضحيات عديدة من أجل عائلتها، فكانت الأم والأخت والزوجة والعاملة في الآن نفسه.

1-سيكولوجية الألم النفسي عند الشخصية:

بالعودة إلى قصة (زيزفون) بوصفها الشخصية المركزية في الرواية، اكتشفنا بأنّها عاشت تجربة ألم كبيرة، جعلتها تعيش المعاناة وتعيش دوامة نفسية، دفعتها إلى طرح أسئلة من طبيعة وجودية، بحيث كانت تسأل عمن تكون؟ وعن السبب في بقائها حية؟ والسبب في المعاناة التي تعيشها...إلخ

وفوق هذا، فتجربة الألم عندها متعددة، منها الألم النفسي، ومنها الألم الروحي ومنها الألم الجسدي.

1-1الألم النفسي و الروحي:

أحست بطلة الرواية بالألم النفسي الشديد بعد أن اخبرها (منير) بوفاة (سعيد) الذي تعتبره سندا لها، وكأن الخبر لم يقدّم بل ضرب به المتلقي فجأة، مما يشير إلى الطابع الفجائي للحدث و عمق تأثيره وهذا ما تجلى في قول (زيزفون) :" مات سعيد بهذه الحيادية قابلني منير و رمى الخبر في وجهي، شعرت ان الدنيا تهوى بي إلى قاع سحيق من العتمة والصمت. سعيد مات؟ يا الهي كيف يحدث ان يموت النقاء و الطيبة و الأخلاق و الحق؟ منير كان الوحيد الذي يعرف علاقتي به فقد كان مرسالي إليه و كان يعرف كيف يحفظ السر."[46]

[46]) –سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون، منشورات الربيع، القاهرة، ط1، يناير، 2022، ص72.

.

موت سعيد يمثل تجربة نفسية قاسية جدا، كان تأثيرها شديدا على نفسيتها، كونه شخص عزيز عليها، وما يشير إلى صدمة (زيزفون) بالخبر الذي وقع عليها كالصاعقة "قابلني منير ورمى الخبر في وجهي"، كما صورت حالة الانهيار والفراغ النفسي الذي شعرت به. هنا يظهر تأثير الحزن كقوة مدمرة تسحب الإنسان من الواقع إلى الظلام النفسي الداخلي وتحدث نوعا من العزلة عن العالم الخارجي. والسؤالين اللذان طرحتهما(زيزفون) لهما نوع من التأثير النفسي، كما أن الفقد ليس فقط للشخص، بل لمعنى وقيم مجسدة فيه. وهذا يظهر نوعا من التماهي النفسي بين الشخص والقيم التي يمثلها، وهو تعبير عن الم مضاعف. فمنير لم يكن مجرد ناقل خبر، بل كان جسرا عاطفيا بين (زيزفون) وسعيد. وهذا ما يبرز جانبا آخر من المشاعر، وهو الإحساس بالخصوصية والانكشاف.

لم تتمكن (زيزفون)أن تتخطى ألامها و حزنها الذي عاشته بعد فقدانها للشخص الذي اكتشفت حبها له فيما بعد، كما تمنت أن تكون قريبة منه و تهمس في أذنه قبل دفنه و هذا ما يظهر في هذا القول: "كان الحزن و القلق و الخوف من فقدان شخص عزيز تربكني هذه المشاعر أريد أن أكون قريبة من سعيد أن أقف على حدود موته أريد أن أهمس له في أذنه قبل صعود روحه إلى السماء عله يسمعني، يقولون أنّ الروح تبقى مدة تحوم فوق جسد الميت كيف أستطيع أن التقط أذنها كي اهمس فيها بأنّه كان عشقي الوحيد و انّه كان لشدة ولعي به اسمي في قلبي من ان أشارك نفسي به"[47]

يعبر هذا المقطع عن حالة الألم النفسي العميق الناجم عن الخسارة القريبة لشخص محبوب. يظهر الحزن هنا لا كحالة شعورية فقط، بل كحالة وجودية تسيطر عليها و على كيانها: " كأن الحزن و القلق و الخوف من فقدان شخص عزيز تربكني" مما يشير إلى أنّ (زيزفون) دخلت في حالة من التوتر النفسي.

[47])–سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون، ص74.

.

أما الجملة الأخيرة" كان عشقي الوحيد و أنّه كان لشدة ولعي به أسمى في قلبي من أن أشارك نفسي به"

تشير إلى أنّ الحب الذي تكنّه (زيزفون) (لسعيد) تجاوز حدود التملك أو العلاقة الثنائية التقليدية، ليصبح نوع من الاتحاد الرمزي الذي لا يسمح حتى بمشاركة الذات فيه، أي أنّها أحبته حدّ الذوبان فيه، مما يدل على التعلق بين الحبيبة(زيزفون) و المحبوب(سعيد) يصل إلى حد الانصهار النفسي.

فتجربة الموت هي تجربة انهيار صورة العالم، وتمثل تجربة نفسية قاسية عاشتها (زيزفون) وهذا ما غير نظرتها للعالم. حيث شعرت أنّ الحزن و الألم رفيقاها، و سرقت منها سعادتها و أمالها.

يعد الألم الروحي من أكثر أشكال المعاناة تعقيدا و خفاء فهو لا يرتبط بجرح جسدي واضح ولا حتى دائما بحدث خارجي مباشر، بل ينبع من أعماق الذات حين تشعر بأنها مهمشة وغير قادرة على التعامل مع العالم و مع نفسها.

يتجلى الألم الروحي كأقصى درجات الانكسار الداخلي (لزيزفون)، حيث تعرضت لصدمة تفقد فيها ثقتها بوالدها الذي يمثل الأمان و الحكمة. كان والد (زيزفون) يسخر من المشايخ ومعتقداتهم المتخلفة التي جعلت الناس يؤمنون بها، فكانت تسمع لحديث والدها مع الناس لقد كان والدها ضد هذه المعتقدات، و عندما نشر خبر أنّ (زيزفون) أقامت علاقة غير شرعية مع الأستاذ، كان الخبر منتشرا بين أهل الضيعة فاتهموها بشرفها، فقرر أحد المشايخ أن تقوم باختبار حتى تثبت براءتها.

كانت (زيزفون) حزينة وحتى والدها الذي كان ضد هذه الخرافات سكت ولم يمنع من اجتياز هذا الاختبار فلهذا أحست (زيزفون) أنّها وحيدة فشعرت أنّ الكل ضدها، وهذا ما يظهر في قولها:"في لحظة من لحظات الوحشية و القهر فقدت الثقة بوالدي فقدت القدرة على تصديقه

و تصديق حكاياته بل فقدت الثقة بكل ما عرف و حصل من خبرات و كل ما صرح به من أفكار."[48] هذا النص يعبر عن زلزال داخلي، فالأب لا يمثل فقط السلطة أو الحماية، بل هو غالبا يرمز للأمان و الإرشاد. (فزيزفون) حينما فقدت الثقة بوالدها فهي لم تفقد شخصا فقط بل فقدت جزءا من عالمها الروحي الذي كانت تعتبره سندا لها لفهم العالم.وما يظهر هنا ليس مجرد خذلان بل جرح روحي عميق كأنه نور و انطفأ فجأة، فحين تفقد الذات القدرة على تصديق الحكاية فهي لا تفقد قصة فقط بل تفقد ثقتها في وجود الأشياء حولها.

من خلال هذا النص يظهر لنا أنّه لا يعبر فقط عن خيبة أمل شخصية بل يكشف عن انهيار داخلي في البنية الروحية التي تربط الإنسان بالعالم. فالعلاقة بالأب هنا ليست مجرد علاقة أسرية بل هي علاقة بالسلطة العليا في حياة الإنسان. فالوحشية و القهر في هذه اللحظة لا تشير فقط إلى فعل خارجي بل إلى ألام روحية عميقة داخل الذات.

شعرت (زيزفون) بالألم الصامت،الذي يعلو بداخلها صوت الذي لم تستطيع إخراجه يشبه بركانا على وشك الانفجار، فتحمل في داخلها مشاعر مكبوتة و صرخات كلما تذكرت ذلك الاختبار الذي قامت بهأمام أهل ضيعتها، لم تجد من يصغي إليها فشعرت بالظلم والخذلان الذي تعرضت له وهذا ما تجلى في قولها:"في الحقيقة، كنت انتظر أن تنفلت فوهة البركان المحصورة في صدري،البركان الذي أحرقتني حممه في ليالي التي تلت ذلك اليوم،شوي على نار،حطبها كرامتي وليس لدي من أشكو إليه هذا الظلم المبارك من غالبية المحيطين بي. كنت أكيد المشهد في خلدي كل يوم واستعرض تلك الوجوه البائسة المذعورة المستكينة المغلوبة على أمرها، تأتي للفرجة على مصير تخافه لأنه حاضر في بالها باستمرار، وعندما تضعف سطوته، هناك دائما من يغذيه ويضرم نيرانه الواعدة من جديد."[49]

---

[48])–سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون، ص85.

.

[49]-،مصدرنفسه،ص،ص،117.116

وصفت (زيزفون) حالتها النفسية شديدة، والانفعال الذي شبهته بالبركان الذي برمز لقوة الغضب المكبوت والانفجار العاطفي. (فزيزفون) هنا كانت تتحدث عن صراعها الداخلي الناتج عن قمع المشاعر وغياب الدعم النفسي، حيث احترقت كرمتها تدريجيا في ظل ظلم المحيط بها.

عندما قالت (زيزفون) "الوجوه اليائسة المذعورة" التي تكتفي بالمشاهدة دون تدخل، قد تشير إلى الإحساس بالعزلة والخذلان الاجتماعي، أي أنّها فقدت ثقتها بالمجتمع الذي كانت تعيش فيه وأما عندما قالت الظلم المبارك هي عبارة عن سخرية مريرة، تعكس إحساسها بالعجز أمام أنظمة أو أفراد يمارسون القهر باسم قيم.

أشارت (زيزفون) أنّ هناك من يتغذى هذا البركان باستمرار، فهذا يدل على بيئة لا تعرف الرحمة التي تعيد إنتاج الألم و تعوق التعافي، وهذا ماجعل (زيزفون) تشعر إنها محاصرة داخل دائرة من الألم المستمر.

(زيزفون) شخصية تعاني من كبت مزمن للغضب، و إحساس عميق بالخذلان و الوحدة ضمن بيئة قاسية. فقد احتاجت إلى التفريغ النفسي، و العلاج لتخلص من مشاعرها المتراكمة بالأحزان و خيبات الأمل و سعيها للاستعادة الشعور بالقيمة الذاتية و الأمان.

كان غضب (زيزفون) شديدا، وهذا ما دفعها للانتقام ف أحد أليالي الخريفية بينما كان الجميع نائم قررت (زيزفون) أن تحرق مزار أبو طاقة، أرادت أن ترد الاعتبار لكرامتها ولأنّها كانت ضد هذه المعتقدات و الخرافات التي يؤمنون بها أهل ضيعتها وهذا ما يظهر في كلامها:"نعم حرقت المزار أبو طاقة في تلك الليلة الخريفية التي فارقتها ضوء القمر ولفتها العتمة و كانت كل مخلوقاتها كأنها في سبات، لم يكن غيري و أشباح الليل و مزار أبو طاقة المحروس بجنيات الليل. عندما قدحت عودة كبريت و أشعلت طرف الرداء الأخضر

الذي يجلله، قدحت شرارة السؤال في قلبي بل عقلي، فلم يكن لدي وقت ما يكفي للعقل والتعقل."[50]

بعدما شعرت (زيزفون) بضغط الداخلي قررت حرق مزار أبو طاقة، وهذا نتيجة شعورها بالغضب، و الألم، و التمرد، كما أحست بالظلم و القهر الذي كان أهل ضيعتها سببا فيه بعد أن أرغموها على اجتياز ذلك الاختبار الذي غير من حياتها.

صورت (زيزفون) المكان في الليلة الخريفية التي تدل على العزلة الشديدة، و ظلام الداخلي الذي يعكس العالم الخارجي. وان كل المخلوقات في سبات فهذه العبارة تعطي انطباع على أنّ (زيزفون) تعيش حالة انفصال نفسي عن الآخرين.

استخدمت (زيزفون) عناصر من الخيال عندما ذكرت الأشباح و جنيات الليل حول المزار،وتمثل هذه الكائنات تجسيدا لمخاوفها، أو للعقاب الأخلاقي التي تتوقعها.

فحرق المزار الذي تحرسه جنيات، يمكن أن يكون رمزا يدل على رغبة في كسر التقاليد والعادات و هذا ما سعت (زيزفون) للقيام به عندما أحرقت المزار، فيعد هذا الفعل بالتمرد على السلطة دينية، و ثقافية التي رفضتها بشدة كما يمكن أن تكون تدميرا للذات أو الفقدان السيطرة.

كشفت (زيزفون) عن اندفاعها العاطفي، عندما قالت"فلم يكن لدي وقت ما يكفي للعقل والتعقل"، الذي يشير إلى لحظة ذروة وجدانية الذي يشعر فيها الإنسان أنّ لا رجعة عن الفعل لحظة يفقد فيها زمام التحكم المنطقي في تصرفاته.

تصور لنا هذه الفقرة لحظة انفجار نفسي لدي (زيزفون)، حيث اختلطت مشاعرها بالعزلة والظلام الداخلي مع رغبتها الشديدة في التمرد، و التطهير، أو يمكن أن يكون شعورها بندم

[50]-سوسن جميل حسن،اسمي زيزفون، ص33.

أو القلق من العواقب التي ستواجهها. إنها لحظة حاسمة نفسية، تعكس صراعا داخليا بين الإحساس بالذنب و رغبة في التحرر.

1-2الألم الجسدي:

يشكّل الألم النفسي في بعض الأحيان امتدادا خفيا للألم النفسي الذي لم تتمكن الشخصية (زيزفون) من التعبير عن معاناتها بالكلمات و البوح بها. وفي النص التالي نلمس صورة مكثّفة للمعاناة النفسية التي تتجسد في هيئة نار داخلية تلتهم الجسد و تحرم (زيزفون) من النوم حيث يصبح مرآة لصراع داخلي عميق مع الظلم، القهر، و فقدان الأمان.و هذا ما يتجلى في قول زيزفون:"لا اعرف كان في صدري نار تتقد و تحرقني و تحرمني النوم وأكابد شعورا بالظلم، و القهر، و الاعتداء علي و كل الناس راضية بقهري و كأني غنيمة متشوقين حتى يشوفوها تتذبح، ماكان القهر بسبب إني بريئة من التهمة الكاذبة فقط كنت مقهورة لأن الكل تكاتفوا حتى يقيدوني و يشاركوا بتنفيذ الحكم علي."[51]

يتجلى في هذا النص وصف صريح لما يمكن اعتباره تجسيدا للألم النفسي في صورة الم جسدي.

"نار تتقد و تحرقني و تحرمني النوم"، فهي عبارة عن ظاهرة تحويل جسدي حيث تتحول المشاعر النفسية إلى أعراض جسدية. فالنار تعبر عن الاحتراق الداخلي الذي قد يتمثل في الوقائع بأعراض جسدية، وهذا الألم لا يظهر بسبب خلل بل لأنّه لغة الجسد البديلة حين تعجز الذات عن التعبير. فالحرمان من النوم نتيجة هذا الألم، فقلة النوم تؤثر في توازن الجهاز العصبي، وتفاقم من الشعور بالقلق و الانفعال، وهو ما يكرس الشعور بالعجز والقهر. كما أنّ الإحساس بأن الجسد كان محاصرا و محكوما عليه من الآخرين يمكن

[51])–سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون، ص120.

.

تفسيره بأن (زيزفون) شعرت أنّ جسدها نفسه لم يكن ملكا لها بل ملكا لجماعة قررت مصيره. وهذا ما ترك أثارا نفسية و جسدية.

من خلال هذا التحليل، يظهر أنّ الجسد هنا ليس فقط متلقيا للألم بل شاهدا و صامتا عليه يتألم دون إصدارأي صوت ليعبر عن معاناته، وهذا الصمت يشتعل كل ليلة في عزلة كاملة.

كما نجد أنّ (زيزفون) ترغب في الخروج من منزلها و المشي لوحدها حتى تتمكن من البكاء لترتاح من الضغوطات التي عاشتها و مرت عليها. ورغبتها الشديدة في البقاء وحيدة في عتمة الدنيا و هذا ما تجلى في مايلي"رجعت إلى البيت أجرجر نفسي بي رغبة في أن أبقي أمشي، و أمشي بلا هدى، و هدف فقط أمشي ،و أبكي إلى أن يتعبني البكاء، كانت الشمس أوشكت على المغيب وكان في انتظاري هم أخر و أنا في الحقيقة احتاج لأن أبقي وحيدة في عتمة الدنيا."[52] نواجه في هذه الفقرة أنّ (زيزفون) تسير مثقلة الجسد كما لو أنها تحمل عبئا لا يحتمل. فهذا الأخير يعبر عن حالة الانفصال بين الذات والجسد، (فزيزفون) لم تكن تسير بكامل وعيها و إرادتها بل كانت تجر جسدها المتعب محملا بثقل عاطفي و نفسي يثقل الحركة و يعتم عالمها الداخلي و يولد لديها طاقة سلبية تدفعها للبكاء و البقاء وحيدة. فاختارت(زيزفون) المشي و البكاء بدلا من البوح و التعبير العاطفي أو المواجهة النفسية. وهذا البكاء كان عبارة عن الهروب من الواقع إلى عالمها الخاص. ولذلك جسد الشخصية هنا ليس وسيلة للحركة فقط، بل هو شريك في الحزن و الهرب يحمل أثارا عميقة محملة بالآلام النفسية و الجسدية معا.

يتجلى هنا من خلال النصين، أنّ الجسد أداة مركزية في التعبير عن معاناة الذات ليس من خلال المرض أو الوجع فقط، بل من خلال الحركة و البكاء و الأرق، وكذلك التعب و الألم النفسي الذي يتحول فيما بعد إلى تعب جسدي.

[52])–سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون، ص190.

.

2-الاسم و أزمة الهوية:

عندما تعرّضت (زيزفون) للإغماء، ظنّ الجميع بأنّها ماتت، لكنها في الأخير استفاقت من غيبوبتها التي دامت ساعتين، فترك ذلك أثرا نفسيا فيها، ما جعلها تفكر في معنى أن يظن الجميع أنّها ماتت. كما لو أنها تكتشف أن لا أحد يرغب في أن تبقى على قيد الحياة. وهذا ما تجلى في قول (زيزفون):" في الحقيقة أنا لم أمت.كل ما في الأمر انه أغمي علي ودخلت في غيبوبة لا ادري كم استمرت، فعندما فتحت عيني و بدأت باسترداد وعي وعرفت أنني ممدّدة على الصوفا في بيت أخي برهوم، كانت الوجوه التي تتوجه أنظارها نحوي وجوها لا أستطيع القول إنها غريبة،لكنها ليست المألوفة التي عرفتها."[53]

الدخول في الغيبوبة هنا يمثل حالة من الفقدان وهو فقدان السيطرة على الذات ويمثل انعكاس لحالة نفسية عميقة من الانفصال أو الهروب من الواقع. كما يمكن أن يدل ذلك على صدمة نفسية و هذا ما حصل مع (زيزفون) حين فقدت وعيها فلم تكن قادرة على التعامل مع الأحداث التي عانت منها في حياتها وهي واعية.

"لكي يتمكن الإنسان من التفاعل مع العالم المحيط به لابد له من أن يعي هذا العالم، أي أنّه لابد له من تلقي الحوادث الكثيرة المختلفة التي تحدث، في المحيط و الشعور بها. إنّ مسألة كون الطرق الحسية مفتوحة أو مغلقة بالنسبة للاثارات الداخلية أو الخارجية هي مسألة حالة الوعي عند الإنسان."[54]

استيقظت (زيزفون) فوجدت نفسها ممددة على صوفا في بيت أخيها، حيث كان الأخ رمزا للأمان العائلي، والشعور بالحماية و الرعاية.

أما بالنسبة للوجوه التي لم تتعرف عليها (زيزفون)، فتمثل حالة من الانفصال النفسي عن المحيطين بها، وكأن الغيبوبة جعلت نفسيتها ترى العالم في صورة مختلفة. فيمكن تفسير

53)- سوسن جميل حسن،اسميزيزفون،،ص05

[54]- فاخر عاقل، أصول علم النفس و تطبيقاته،دار العلم للملايين، لبنان، ط1، 1973. ص230.231.

ذلك على أنّه الشعور بالغربة الداخلية وعدم التماثل مع الواقع الخارجي الذي كانت تعيشه من قبل.

إنّ الجهلبالوجوه المحيطة بها يدل على الخوف الداخلي من مواجهة الوضع الجديد الذي لم تتعرف عليه، حيث أحست بالضعف وفقدان السيطرة و الثقة أمام الآخرين وهذا من خلال النظرات الموجهة نحوها.

ومن هنا تكشف هذه الفقرة عن الأزمة النفسية التي عاشتها (زيزفون) متجلية في فقدان الوعي و الإحساس بالغربة عن الوجوه المألوفة، والحاجة اللاواعية إلى الأمان. لذا يمكن القول إنّ الغيبوبة تمثل ردة فعل عن الحالة النفسية الأليمة التي لم تتمكن فيها (زيزفون) من مواجهتها في الواقع وهذا ما أدى إلى هروبها من الواقع النفسي الأليم.

2-1الأسماء أقنعة:

شعرت (زيزفون) بالحزن و الأسى عندما نداها الطبيب باسم (جهيدة) وهو الاسم الذي كانت ترفضه و تتهرب منه منذ أن كانت صغيرة، حيث أحبت اسم (زيزفون) وكانت تعمل جاهدة لتغييره و فرضت على كل الناس أن ينادونها به، وهذا ما يظهر فيما يلي:" الأمر الذي أوجعني و نبهني حينها مثل قرصة مؤلمة على خدي، كان صوت الدكتور وهو يقول الحمد لله على سلامتك يا جهيدة...جهيدة؟ كنت أظن إنني دفنت الاسم منذ سنين عندما فرضت على كل الذين يعرفونني أو يتعرفون علي ينادوني باسمي الذي أحب (زيزفون)، كان الأمر يغيظني و ألوم نفسي كل مرة لأنني لم أعمل على تصحيحه في دائرة النفوس."[55]

حاولت (زيزفون) أن تتبرأ من اسمها الأصلي(جهيدة) الذي يمثل الحياة الماضية التي عاشتها وتريد أن تنساها و تتحرر منها، كأنها تقول هذا الاسم لم يعد يناسبني كونه اسم يجلب طاقة سلبية و الاسم يعبر عن التشاؤم و المعاناة.

[55]- سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون، ص6.

فاسم (زيزفون) يمثّل قناعا نفسيا جديدا باختيار واع من طرف بطلة القصة، وهذا من أجل صناعة ذات جديدة تمثل جزءا مرغوبا منها. و الرغبة في بداية جديدة و الهروب من ماض مؤلم.

عند مناداتها باسمها القديم(جهيدة) من طرف الطبيب استعدى ذلك ماضيا كانت قد عملت على دفنه و نسيانه. فالاسم أحيى بداخلها ماض رفضته طويلا.

كما لامت نفسها على عدم تمكنها من تغيير الاسم في دائرة النفوس و هذا ما أدى إلى ظهور الاسم مرة أخرى.

لذا يكشف النص عن صراع داخلي بين الماضي والحاضر، وبين القبول بالذات والهروب من الواقع الأليم هذا ما دفع الشخصية لتشكيل ذات جديدة.

وإصرار (زيزفون) على رفضها لاسمها القديم يتجلى في هذا القول:" أغمضت عينيّ، ورحت استعيد الصوت في بالي "الحمد لله على سلامتك يا جهيدةّ ". نهض الاسم في كياني كله دفعة واحدة " جهيدة". الاسم الذي ضننت أنّه مات مع انقضاء تلك الفترة من عمري عاد مع صوته يجرجر خلفه عمري كله، بل يفتح الأبواب على مخابئ نفسي، ها هو صوت الطبيب يؤكد لي ان جهيدة لم تمت."[56]

اسم (جهيدة) لم يكن مجرد اسم عادي بالنسبة للشخصية، بل كان نائما في أعماقها. وعندما عاد الاسم اهتز كيانها. لأنها اعتبرته منسيا ولن يعود في فترة من عمرها، ولكن في الحقيقة أنّ الاسم لا يموت بل يبقى خالدا ينتظر إحياءه مرة أخرى في لحظة استدعاءه.

فماضي (زيزفون) لم ولن يرحل بل كان مرتبطا بالاسم ينتظر استحضاره في الوقت المناسب وهذا يعكس شعورا بالثقل أنّ العمر لم يمض بل مازال جزءا من كيانها. وصوت الطبيب يؤكد أنّ الاسم لم يمت وهذه هي الحقيقة القاسية التي رفضتها (زيزفون) و لم تتقبلها في

[56]- سوسن جميل حسن، اسمي زيزفو، ص7.

حياتها الواقعية، هذا يؤكد أنّ جزءا من ماضيها لن يختفي بسهولة رغم محاولة تجاهله ونسيانه.

لذا يمكن القول أنّ البطلة عاشت بقناعين(شخصيتين) متناقضين، حيث القناع الأول الشخصية الأولى تحت اسم (جهيدة) يعبر عن الماضي، الألم، الهوية المفروضة الشقاء...الخ، فهذه الشخصية أو القناع الذي رفضته البطلة.

أما القناع الثاني أو الشخصية الثانية (زيزفون)، الذات الجديدة الذي اختاره بكل وعي(زيزفون) الاسم المحبوب لدى الشخصية، حيث يعبر عن الذات التي تريدها و التي اختارتها، السلام، الحب.

2-2هوية الذات:

ناضلت (زيزفون) منذ صغرها حتى صار عمرها فوق الخمسين عاما على تغيير الاسم والبحث عن ذات جديدة التي اعتبرتها مفقودة، و فرضت على كل الذين يعرفونها على مناداتها (بزيزفون)، فلم تتقبل اسمها الحقيقي الذي يذكّرها بذاتها القديمة التي تحتاج إلى التغيير.

"(زيزفون) التي ناضلت أكثر من خمسين عاما، منذ أن شغلها السؤال عن الرجعيّة، التي جاهدت من أجل تطمر جهيدة في تراب النسيان كي تكون ذاتها، (زيزفون) الاسم الذي أحبته و شعرت أنّه جدير بتمثيلها في الحياة، وبأنّ يكون رفيقها في سفرها الذي بم يغادر أحلامها وراحت تدّون تاريخها قبل أن ينسى."[57]

خاضت (زيزفون) صراعا طويلا لتؤكد هويتها الذاتية، تاركة ماضيها المرتبط "بالرجعية" فأصرت على تغيير هويتها و اسمها اللذان يليقان بأحلامها و طموحاتها.

[57]- سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون، ص294.

فحين عملت على دفن اسم جهيدة في تراب النسيان كأنها دفنت ماض ثقيل ومرحلة مؤلمة،ولم تدفن اسما فقط. أما حب الاسم الثاني(زيزفون) يدل على المقاومة و إعادة الولادة و حياة جديدة و هوية إرادتها بكل وعيها.

أما حلمها بالسفر يدل على الرحلة التي تمنتها من اجل تحقيق الذات و الهروب من الحياة القاسية، و العيش بشرف و كرامة.

يمثل هذا مواجهة الذات و إعادة تشكيل هويتها بعيدا عن الندم و الإنكار و الاعتراف بوجود حب داخلي عميق مقابل التخلي عن صورة الذات المقهورة. فاختارت الخلوة للشفاء وليس للهروب.

"يبدو أنّ الإشارة إلى الذات ليست إشكالية، حيث لا شيء يتحدث أو يعمل إلا شخص يبدو أنّه في مسرحية. لكن المنظور الذي يدرك منه المرء العالم مجسد بسهولة في كائن داخلي مدرك، يوجد في أصل النظام المشيد للأشياء، بما في ذلك جسد المدرك. وهذا على الأقل أحد المفاهيم المجسدة في الأنا الديكارتية التي تمسك بكل شيء. و هناك ميل إلى الاعتقاد بأنّ الخصائص الشخصية أيضا، مثل "الذات، كينونة، "من أنا؟"."[58]

أرادت (زيزفون)أن تبقى لوحدها حتى ترتاح و ترتب أفكارها و تستعيد قواها التي فقدتها طوال مشوارها الأليم و بعد خيبات أمل عدة مرت بها. كما أنّها أحست بغربة داخلية وهذا ما كانت تنفر منه و السبب في ذلك هو اسمها القديم، حيث جعلت الاسم الجديد كولادة جديدة لها. و تجلى في هذا الخصوص قولها التالي: "كنت بحاجة لان اختلي بنفسي و أمرن مشاعري لتستفيق من غفلتها و أؤكد لنفسي بأنّ الحب موجود بالقرب مني، بل أنا غارقة

[58]- جينز بروكمييير، دونال كربو، السرد و الهوية دراسات في السيرة الذاتية و الذات و الثقافة،نر:عبد المقصود عبد الكريم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط.1، 2015، ص111.

فيه و إنّ زيزفون التي ولدت في نفسي غير جهيدة التي أودعتها في خزائن الماضي وأحكمت إغلاقها."[59]

تستشعر الشخصية (زيزفون) حاجتها إلى الخلوة لإعادة اكتشاف ذاتها بعيدا عن الضجيج الخارجي، و ماض ثقيل، كما تعتبر الخلوة أداة لإعادة بناء الذات التي تحتاج إلى توجيه ويقظة.

الحب بالنسبة لها عنصر جوهري في هويتها الجديدة، فالذات لا تكتمل بدون شعور عميق بالحب.

(زيزفون) التي ولدت من جديد ترمز إلى شخصيتها الجديدة، المفعمة بالحيوية، و الوعي والإرادة الحرة، على عكس جهيدة التي ترمز إلى ذات سابقة مغتربة. بالتالي الهوية الجديدة لا تنكر الماضي بل تتحرر منه و أصبحت في مكان مغلق لا يؤثر على نمو الذات الحالي.

إنّه أيضا يمثل انتقال الذات من مرحلة الاغتراب الداخلي (جهيدة الذات المقهورة و المؤلمة) إلى مرحلة التماهي مع الذات الأصلية (زيزفون الذات الحية الحرة).

3-معاناة ان تكون امرأة:

لعبت (زيزفون) أدوارا عدة منذ صغرها فكانت البنت، و الأخت، و الأم ، و العاملة ،والمربية التي فنت حياتها من أجل أن تنعم عائلتها بالراحة. فبعد فقدان والدتها أصبحت الأم الثانية حيث قدمت الرعاية لأخواتها، كما ضحت بأحلامها وطموحاتها، و تخلت عن أمالها من أجل أن توفر لهم احتياجاتهم الخاصة. إلاّ أنّها وقعت تحت سلطة أخيها الذي لم يرحمها وأراد طردها من منزلها الذي تشبثت فيه و تنامت فيه أحلامها، فلهذا تغلبت السلطة الذكورية عليها في مجتمع همشت فيه المرأة و لم تسلط الضوء عليها بل جعلتها في هامش المجتمع و السلطة.

[59]- سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون، ص161.

في قولها:"لي حصة في هذا التراب يا شعبان، بل لي حصة في حياتك بعد أن رهنت عمري لأجلك و لأجل أخيك و أبيك، لي ذكريات و آمال و أحلام و ألام، هذا البيت الصغير رهنت عمري الوظيفي للبنوك و قتّرت على نفسي من اجل إنشائه كي يستر آخرتي هو كل ما يصلني بالحياة، و البيت العتيق، والبيت العائلة المهجور، هذا بيتنا، بيت أبي و أمي البيت الذي عشت فيه أكثر ما عشت أنت."[60]

البيت القديم جزء من هويتها، حيث اعتبرته مأوى لها و رمزا للذاكرة الجماعية، و يمثل رابطا حيا مع الماضي ، استحضرت(زيزفون) ذكريات الطفولة و شعورها بالحنين و تعلقها الشديد بكل ما هو ماضي.

أحست (زيزفون) بالإحباط و خيبة أمل شديدة لأنها ضحت من اجل أسرتها و فنت عمرها وراحتها من اجل خدمتهم، ولكن تضحيتها لم تقدر، فلقد فرضوا سلطتهم عليها وهذا ما أدى إلى شعورها بالخذلان، ممّا سبب لها جرح نفسي عميق. أرادت (زيزفون)أن تكون لها مكانة في قلب أسرتها خاصة إخوتها فهي لم تهتم بالممتلكات، بقدر ما اهتمت بمحبة إخوتها ولكنهم لم يبادرونها بنفس الشعور بها ولم يقدروا تضحيتها.

إنّ تجربة الحزن والغضب ((لاشك في أنهما يستمران طويلا. يمكن أن تؤثر علينا خسارة أو صدمة تعرضنا لها في الطفولة حتى بعد مرور عدة عقود على حدوثها...وقد يكون الغضب الشعور الأكثر إزعاجا من بين المشاعر التي لا تنسى، خاصة عندما يمتزج بالحزن)).[61]

في هذا الخطاب، يظهر أنّ (زيزفون) محت ذاتها في سبيل إخوتها و جعلت من عمرها رهنا للعائلة. كما لعبت دور العاملة و المعيلة للعائلة، صامتة لا تقتصر معاناتها على المشاعر بل تمت لتشمل مسؤوليات أخرى. كما دفعت ثمن الأمان العائلي من جيبها و من راحتها ولا تزال تطالب بالاعتراف بدورها و كل ما قدمته من خدمات لهم.

---

[60])- سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون ، ص287.

[61])- لويس هايد، أدب النسيان ثقافة تجاوز الماضي، تر: جوهر عبد المولى،منشورات وسم، د.ط، د.ت، ص71.

حاولت (زيزفون) أن تظهر ذاتها على إنّها موجودة، لها حق، لها ماض، لها دور. إذا المعاناة هنا نفسية أي أنّ (زيزفون) همشت ولم يسلط الضوء عليها من قبل من ضحت من اجلهم.

عاشت (زيزفون) في البيت أكثر من البقية من إخوتها، هذا يشير إلى أنّها هي الوحيدة التي كانت دوما حاضرة، ومع ذلك تم تهميشها و سلب حقها،حيث شعرت إنها غريبة داخل بيتها.

في هذا الخصوص، يمكن القول ان شخصية الرواية (زيزفون)، عانت في سبيل عائلتها دون أن تنال التقدير أو الاعتراف. لقد رهنت عمرها و جهدها لبناء بيت العائلة و توفير الأمان لهم لكنها في أخر المطاف واجهت التهميش و الإنكار من اقرب الناس لها. فالبيت هنا رمز لتضحيتها، لذكرياتها، لهويتها، و انتمائها الذي بات مهددا.

فيجدر بالذكر، أنّ (زيزفون) أنهكتها المسؤوليات، و تطالب بحقها في الوجود، في الحب في الذاكرة.

بحثت (زيزفون) عن الحرية طول عمرها، منذ أن كانت طفلة كانت ضد المعتقدات السائدة آنذاك، حيث كانت تشعر أنها مقيدة بتلك العادات التي فرضت على المرأة العربية خصوصا المرأة السورية و هذا ما أدى إلى خروجها عن الأعراف و عدم الاعتراف بها، فلم تكن تؤمن بأن المرأة لا يمكنها العيش في المجتمع الذي تسوده الهيمنة الذكورية. طالبت بالحرية قبل كل الذين خرجوا بعدها، و هذا يظهر في قولها:" كنت فقط ابحث عن الحرية، هذا ما عرفته مؤخرا بعد مشواري الطويل، لقد بحثت عنها قبل هؤلاء الناس الذين ملأوا الشوارع ضجيجا وصراخا يريدون الحرية، و أنا (زيزفون)، بنت الستين سنة طاردتها قبلهم بأكثر من أربعين عاما، بل خمسة و أربعين. كنت أريد فقط ان أكون أنا، لا يريدون مني أن أكون كنسخة من نسخهم المغشوشة، هذه هي الحرية بالنسبة لي، لا اعرف إن صرت تلك الأنا التي تشبثت بي أكثر ما تشبثت بها، لكنني اعرف بأنني كافحت من اجلها."[62]

[62]- سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون، ص34.

(زيزفون) هنا لم تطالب بالحرية المؤقتة أو السطحية بل طالبت بالحرية الدائمة، بل تعبر عن الحلم الطويل رغم أنه كان مكلفا. رغم أنها قضت حيلتها تسعى إليه في صمت. الحرية بالنسبة إليها ليس شعارا يرفع في المظاهرات، بل كفاح اليوم تحقيق لحلم الغد.

يبرز النص أنّ معركة المرأة من اجل حريتها سبقت حتى الوعي الجمعي بها. لقد خاضت الصراع وحيدة، دون دعم أو تضامن مجتمعي، مما يعكس عزلتها و التجاهل الذي يحيط بها.

كما ظهرت ضغوطات اجتماعية التي تحاول أن تصنع المرأة وفقا لصورة نمطية تناسب الآخرين، لا ذاتها. حيث تقصد (زيزفون) بـ" النسخة المغشوشة" تلك الأدوار المزيفة التي تفرض عليها و تتبنى من خلال ذلك شخصية غير شخصيتها، وذلك لكي تبدوا بصورة امرأة صالحة في نظر المجتمع، حتى وإن كان ذلك على حساب محو ذاتها و شخصيتها الحقيقية.

إنّ أحد جوانب معاناة المرأة العربية عامة و السورية خاصة هو نضالها الطويل و تنازلها من أجل الاعتراف بها و المحافظة على ذاتها الحقيقية الواعية، دون أن يلبس لها قناع غير قناعها الحقيقي، كما أنّ مشكلتها العميقة تتجلى في أن تلك المحاولات هل تكون من المنتصرات أم من استهلكت طاقتها عبثا.

اعترفت زيزفون بالقوة و المقاومة و الكفاح الذي يعبر بحد ذاته فعل التمرد على التهميش. إنّه اعتراف لمعاناتها التي لم تكن استسلاما بل معركة، و إن لم تكن كما أرادت.

يعكس القول معاناة(زيزفون) في المجتمع الذي قيّد حريتها و فرض عليها ادوار كي تقوم بها بغير رغبة منها. إنّه صوت المرأة المهمشة التي أرادت أن تكون هي " نفسها"، لكن هذا اعتبر اختراق لقوانين المجتمع المتعارف و المتفق عليها. الحرية هنا ليست فقط مجرد مطلب يلبى، بل هي ترمز للمعاناة التي تعيشها النساء في المجتمعات الذكورية.

3-1بوح امرأة على ورق:

بعد صمت (زيزفون) لعدة سنوات، اختارت البوح لما كان يجري لها من معاناة وآلام فاعتبرت القلم و الدفتر رفيقاها في حياتها، رغم أنّها لم تكن تعلم ما تكتبه، أو عمن ستكتب أو لمن ستكتب، لأنّها شخصية منعزلة عن المجتمع و لا تثق بأحد إلاّ صديقها الوحيد "منير"، لذلك كانت ترى في دفترها الوسيط الذي تعبر فيه عن كل ما كان يجري لها من أحداث سواء أكانت أحداث حزينة أو مفرحة. كانت تكتب حتى لا تضيع ذكرياتها و ماضيها ولا يندثر ولم تكن تكتب لتخبر بل كتبت من أجل أن تنجوا بذاتها الواعية.

" قدحت الشرارة في بالي و عزمت على الكتابة، لا شيء، وإنّما للامساك بالذاكرة قبل أن تذوي و تغور كما الماء في رمال العمر، و لأبحث عن سؤالي المؤجل ربما ألاقي جوابا متأخرا له. المهم أن اكتب، ماذا اكتب أو عمّ سأكتب؟ لا يهمني أريد أن أحكي الحكايات لنفسي فأبدّ وحشتي في هذه الأوقات المربكة و العصيبة، واطلّ على حياتي الماضية كنوع من السلوى بعد أن فقدت السلوى و مات معها كل شيء جميل، فلا الزمن بقي زمنا و لا البلد بقيت كالبلد، لم يبق إلاّ هذه الحياة العديمة تقضم الأيام و تبتلعها إلى جوف مظلم بانتظار لا شيء، نعم يا (زيزفون)، لا شيء أبدا يختبئ في قادم الأيام، ولا حتى في حاضرها،ما أبشع هذا العدم."[63]

هنا يظهر فعل الكتابة كرد فعل للنسيان وفقدان الذاكرة، كما تعتبر الكتابة صرخة داخلية تخرج من عمق امرأة أنهكتها الحياة والزمان والمكان.فالبطلة(زيزفون) تبحث عن هدف خارجي، بل تريد أن تترك شيئا يخلّد وجودها، كما تحاول الإمساك به قبل ان يتبخر ويتلاشى. فالكتابة هي محاولة الحفاظ على الذات و الهوية.

((لا يتميز التوسط الرمزي فقط بوظيفة التوجيه، وسبك السلوك، وتحديد نوع التطلعات والمسارات، بل أيضا بمراقبته الحرية الشخصية ورسم حدودها، وكبحها حين تهدد رمزيته. إنّ قدر الإنسان ماثل في انخراطه في عالم الرمز، وتخليه عن تحديده الأصلي بوصفه كائنا

[63]- سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون، ص20.

يمتلك قدره في صلب شرطه البيولوجي، ولذلك يعد الفعل السردي تعبيرا تخيليا عن اصطدام نوعي بين قصدية العلاقة (الذات –الموضوع) ونسق التطلبات غايتها إدماج الفرد رمزيا داخل بينات التماثل التي تستوجبها كل ثقافة))[64]

إنّ إدراكها لأهمية الكتابة بوصفها وسيطا رمزيا جاء متأخرا، حيث طرحت سؤالا قبل سنين لكنها لم تستطع الإجابة والمواجهة إلا بعد مرور زمن طويل.

لقد ساهمت الكتابة في استثارة ذاكرتها، فهذه الأخيرة هي الوحيدة التي يمكن أن تمنح لحظة استمرار ضد التآكل. (فزيزفون) أدركت ان الذاكرة مهددة بالذوبان.

شعرت (زيزفون) بالعدم، فلم يعد في المستقبل وعد ولا في الحياة احتمال للأمل، (زيزفون) ترى أنها تكتب في فراغ وسط حياة تبتلعها الأيام و لا تترك شيئا خلفها.ف((القصص تمنح حيواتنا المعنى، تغذينا وتنشئ الصلات)).[65]

إنّ سرد قصة حياتها جاء كردة فعل على خوفها من ضياع الذات أمام العالم، فجعلت الكتابة وسيلة لإنقاذ ما تبقى من الروح و الذكريات.

فالنص يمثل تجربة أنثوية داخلية، تسعى فيها المرأة من النجاة من النسيان، ومن الغربة الداخلية، إنها تكتب لا لتخبر، بل لتنجوا. فعل الكتابة و البوح يرمز إلى الانفجار و الصراخ في فراغ، لا انتظار فيه لردّ بل تأكيد للوجود ذاته.

رغبت (زيزفون) أن تصل باكرا إلى بيتها حتى تأخذ دفترها و تدون عليه حكاياتها التي لم تستطع أن تحكيها لأحد، بسبب أنّها تفضل العزلة وتحب الوحدة و ليس لديها أصدقاء إلا منير الذي اعتبرته صديق مقرب إليها. عانت (زيزفون) كثيرا في حياتها،لأنّ الحياة لم تقدم لها سوى الألم، والحزن، والمعاناة، فلهذا قررت أن تبحث في دفترها بين حكاياتها عن سبب عيشها، و السبب الذي جعلها تصف الحياة ببنت الكلب، و السبب الذي جعلها تتحدى كل

[64])-عبد الرحمان جيران، علبة السرد النظرية من التقليد إلى التأسيس، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، ط01، 2013، ص63.

[65])- ماریاتاتار، البطلة بألف وجه ووجه، تر : عدنان حسن، دار نينوي سورية، ط01، 2023، ص105

الظروف من أجل البقاء على قيد الحياة، وهذا ما تجلى في قولها:"أريد أن أصل و أفتح دفتري و أعيد تدوين حكاياتي، سأبحث بينها عمّن منحني سببا للعيش، أو عمّا منحني أسبابا لتكون الحياة بنت الكلب هذه جديرة بالتحدي الذي لويت عنقها به، و سألوي عنق الموت، ما بقي من هذا العمر القصير مهما طال سيبقى من حقي، و لتذهب الحرب إلى الجحيم هي الأخرى، إنّها حكايتي، حتى لو لم يبق زمن إلا للحكايات الكبرى."[66]

كتبت (زيزفون) بقلب مجروح و حزين، ولكنها لم تستسلم لأحزانها بل قاومت و تحدثت بكل جرأة، (فزيزفون) هنا لا تكتب من أجل التذكّر بل كتبت لتعيد ترتيب الذاكرة على طريقتها لتكتب كيف واجهة الحياة. فالدفتر هو الوسيط الوحيد الذي اعتمدت عليه بعد أن فقدت الثقة بالعالم.

((للكلمات رسوخها الخاص. الكلمة على الصفحة قد لا تكشف (ربما تخفي) ضعف العقل. كل الأفكار تجد نفسها في مستوى أعلى – تصبح أكثر وضوحا، تحديدا، نفوذا، حالما تطبع على الصفحة – هذا يعني، تنفصل عن الشخص الذي فكّر بها)).[67]

تصبحُ الكِتابةُ كياناً مُستقِّلاً بُمجرّدِ طبعِها على الصفحةِ، لتؤسّسَ لنفسِها وجوداً مُغايِراً، لأنّه سيعيدُ تشكِيلُها مِن قِراءةٍ إلى أُخرى عبر المسار المفتوح للتأوِيلِ. هذا يعنِي أنّها تُخفِي ولا تكشِف، فهِي بهذا المعنَى تقعُ خارِج رِهانات المعنى الذي يُريدُه الكَاتِبُ.

لم تفقد الأمل (زيزفون) في الحياة بالرغم من كل ما مرّ بها من معاناة و الألم، إلاّ أنّها رأت شعاعا في عتمتها وهذا ما جعلها ترى ان الحياة رغم قبحها، مازالت تستحق التحدي.

كان حديث (زيزفون) مشحون بالغضب و المرارة و الإصرار، حالتها تتأرجح بين اليأس والتحدي، بين الانكسار، و التمرد" أريد أن أصل، و أفتح دفتري، و أعيد تدوين حكايتي" هذا يرمز إلى الرغبة في استعادة استذكار و تدوين ما في الخواطر، كما أنّها لم تقصد أن تشتم عندما قالت "إنّ الحياة بنت الكلب"، فهي تعبر عن دفاع نفسي عدواني، بل حاولت أن

---

[66])- سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون، ص32.

[67])- سوزان سونتاغ، كما يسخّر الوعي بالجسد، تر: عباس المفرجي، دار المدى العراق، ط01، 2016، ص33

تستعيد السلطة على واقع كانت ضحيته، سواء كانت الحرب أما لألم الشخصي. إنّ بطلة الرواية(زيزفون) مارست فعل المقاومة عندما استخدمت تلك الكلمات التي تظهر أنّها تريد الانتقام من الحياة التي جعلتها ضعيفة، فأرادت التمرد عليها.

في النهاية،" إنّها حكايتي حتى لو لم يبق زمن للحكايات الكبرى" لم تكن تكتب من أجل أن تخبر بل استعملت القلم من أجل المقاومة، كما إنّها ترى أنّ قصتها تستحق ان تروى، لا بصفة ضحية بل كصاحبة صوت و قرار.كما عبرت عن الخلاص و أرادت أن تظهر نفسها و أن تتحرر من القيود التي جعلتها مهمشة، فصوت (زيزفون) لم ينته حتى وإن انتهى كل شيء فهي متمسكة بحياتها، وحريتها في المجتمع الذي لا يعترف بالحقوق المرأة و جعلها كائن مهمش.

هنا يجدر بالذكر، أنّ(زيزفون) تحولت من امرأة مهمشة إلى بطلة في حكايتها التي كانت تدون في دفترها، كما لم تعد تنتظر الخلاص بل قررت أن تكون هي من يعيد كتابة نهاية حكايتها.

(زيزفون) تقف على حافة الذاكرة و الحياة، مليئة بالجراح و الأحزان، إلاّ أنّها تمسكت رافضة الانكسار. فقررت أن تكتب و تعيد حكايتها، لتبحث فيها عن السبب الذي تعيش من اجله،فسخرة من الحياة و تحدتها فانتزعت منها حق في الوجود. أعلنت (زيزفون) عن عدم استسلامها للموت و الحرب، فهذه الحكاية لها ستبقى تروى حتى لو بقي الزمن فقط للحكايات التي لا تنسى.

3-2 ذاكرة لا تعرف النسيان:

تذكرت (زيزفون) الحديث الذي دار بينها وبين سعيد عندما التقت بحمادة في الجامعة لأول مرة، حيث وصفت له حمادة، وصفت ضحكته و شبهتها بالضياء الذي ينير الوجه، ولازالت تتذكره ولم تستطع أن تنساه و بقي يجول في ذاكرتها. كذلك لم تنسى لقاءهم الأول وذلك

اليوم البعيد، فكان هدفها إما الوصول إلى المبتغى أو المقاومة من اجل ما تريد. و تحقيق الذات و استمرارية الذاكرة.

((تُكتب السيرة في جو مهزوز يكون فيه الحاضر أقوى من الماضي، وهو ما يفسر تركيز الكتّاب على استحضار الذاكرة، ولأنّ الخوف يحاصر الحاضر تنسد بذلك رؤى المستقبل ويهيم الكاتب في ماضيه بحثا عن ملاذ يعيد إليه الثقة بواقعه ووجوده)).[68]

فقول (زيزفون) يلخص ذلك"مازلت اذكر ذلك اليوم البعيد، يوم زرته للمرّة الأولى، كنت في أوائل صباي، وكانت أعماقي تفور و تغلي و اشعر أنّ لاشيء يمكن أن يقف في وجهي عندما انوي على خوض تجربة ما، أو الوصول إلى هدف في بالي، ربّما التفت سعيد إلى هذا الأمر منذ البداية."[69]

استحضرت (زيزفون) ذكريات الماضي ذات الأثر الوجداني العميق و هذا خلال ما قالته" مازلت أتذكر ذلك اليوم البعيد"، هذا يدل على أن الحدث الأول ترك بصمة في نفسها، وهذا بسبب تغير داخلي.

عندما استدعت ذاكرتها كانت في مرحلة المراهقة أو مرحلة الشباب المبكرة، فهذه الفترة تتسم بالتغيرات النفسية السريعة، والاندفاع، ورغبة في اكتشاف و تحقيق الذات. إنّ الشخصية تسترجع تلك اللحظة بحنين و تحليل بعد مرور زمن طويل.

يشير وجود شخص أخر و هو سعيد يدل على أنّه يراقب و يدرك حالة (زيزفون) النفسية. هذا يعكس رغبة داخلية في أن يلاحظ الشخص و يقدّر من قبل الآخرين، وهذا ما يدل إلى أهمية سعيد في حياة (زيزفون).

يمثل قول (زيزفون) لحظة مفصلية في ذاكرتها، تعود إلى بداية وعيها بذاتها و رغبتها. يمرر شعورا بالحنين، و الثقة الذاتية.

---

[68])- حياة أم السعد، الذاكرة في السرد أزمنة الحروب والمنافي والكراهية، منشورات ميم الجزائر، ط01، 2023، ص58.

[69])- سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون، ص114.

حين تشتد وطأة الذكريات يتحول الطريق المألوف إلى ممر موحش تتقافز فيه ضلال الماضي. أحيانا لا نحتاج إلى من يصدمنا، فالماضي وحده كفيل بإسقاطنا في هوة لا قرار لها. في لحظات كهذه، يصبح السير أشبه بمحاولة يائسة للهروب من أنفسنا، من وجع لا نعرف مصدره تماما، لكنه ينخر في أعماقنا ببطء إلى أن يسرق منا أنفسنا و يجعلنا غرباء عن أجسادنا. في وسط النسيان يكفي تفصيل من التفاصيل الصغيرة، أو لحظة مفاجئة، ليفك اسر الذهن و يربطنا بالواقع من جديد.

و هذا ما نجده في هذا القول:" أكمل السير و الذكريات تاكلني، لقد مررت كثيرا في هذا الطريق، ولم يصدمني الواقع مثلما فعل، لا ادري إن كان القلق الذي انتابني بعد انفجار هو السبب في انزلاقي في هذه الهوّة الحارقة، كنت أزيد سرعتي حتى أوشكت على الركض مع ازدياد إيقاع الذكريات و الحنين، و ربما سؤال كان ينحرني عميقا، لماذا حصل ما حصل؟ لم انتبه إلى نفسي إلا عندما ظهر فجأة منير في وجهي، و قد كنت أتصبب عرقا و قلبي يكاد يقفز بين ضلوعي."[70]

إنّ سير (زيزفون) يرمز إلى حالة الشرود الذهني، حيث يصبح الجسد في حركة آلية، لكن العقل غارق في ذكريات تنهشها. و هذا يدل على حالة من القلق الحاد أو الاكتئاب، حيث لا تستطيع (زيزفون) الانفصال عن ماضيها أو التوقف عن إعادة معايشة الأحداث.

و تظهر مشاعر الذنب أو الندم على شكل نوبات قلق أو الذعر و التي تشمل تسارع نبض القلب، فرط التعرق، الارتباك " الهوة الحارقة"، "يزيد سرعتي"، " الركض"...الخ.

و طرحها للسؤال "لماذا حصل ما حصل؟" يمثل سؤالا وجوديا طرحته (زيزفون) عندما عجزت عن فهم و تقبل ما مر عليها. فهو نوع من الإنكار المصحوب بالحيرة و الارتباك.

ظهور (منير) فجأة، يرمز إلى التدخل المفاجئ للواقع أو العقلانية أو حتى الأمل. فيمثل شعلة من النور وسط العتمة، أو محاولة نفسية لوقف الانهيار.

[70]- سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون، ص.ص60،61.

فالنص، يمثل رحلة داخلية (لزيزفون) المشحونة بالندم و الحيرة و القلق، حيث تتصارع الذات بين استحضار و استرجاع ماض مؤلم وواقع خانق، و البحث عن المنفذ و التحرر من خلال نسيانه.

4- بين قلب ينبض و قبر ينتظر:

ظنّ الجميع بأنّ (زيزفون) ماتت، وهذا عندما تعرّضت للإغماء، لكنها في الأخير استفاقت من غيبوبتها التي دامت ساعتين، فترك ذلك أثرا نفسيا فيها، ما جعلها تفكر في معنى أن يظن الجميع أنّها ماتت. كما لو أنّها اكتشف أنّ لا أحد يرغب في أن تبقى على قيد الحياة. وكانوا يرتبون ما يلزم لموتها و هذا ما دفعها في التفكير بالموت وهي تخطت عتبة الستين وجعلها تطرح أسئلة وجودية حول ما تريده من الحياة؟ و هذا ما تجلى في قولها: "لم أمت. لكن الموت حضر أخيرا إلى وعيي و صرت أفكر فيه، حضوره دفعني إلى السؤال الذي تأخّرت في طرحه على نفسي، تأخّرت كثيرا على ما أخمن، ماذا أريد من الحياة؟ ليس ما أريد الآن و أنا (زيزفون) التي تخطّت عتبة الستين، بل من الحياة بالمطلق. هل تأخّرت بالسؤال و بات صعبا عليّ تحديد الأمر؟ قدحت في بالي فكرة بينما الآخرون كانوا يملؤون البيت من حولي مرتبكين أمام هذا الحدث الغريب، غير المفرح بالتأكيد، حدث عودتي إلى الحياة من جديد وهم الذين كانوا يستعجلون موتي و يهرعون إلى ترتيب ما يلزم هذا الموت من دموع مؤجلة لتلك اللحظة و طقوس دفن سريعة عملا بمبدأ إكرام الميت في دفنه." [71]

إنّ حضور الموت في وعي شخص ما بالرغم من أنّه لم يمت يعكس اضطرابا وجوديا بين الحياة و الموت، وهو ما يميز مرحلة معينة من الحياة، كالتقدم في العمر. وهذا ما حفز (زيزفون) على إعادة النظر في معنى حياتها. هذه اللحظة هي لحظة استبطان و استبصار داخلية، لا عن موت جسدي.

[71]- سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون، ص19.

هذا ما دفع (زيزفون)إلى تقييم ما حققته و ما إذا كانت حياتها مليئة بالمعنى. فالموت هنا هو انكسار لصورة الذات القديمة، و بداية لتشكيل جديد للهوية. إنّه ليس فناء بل تطهير نفسي يسبق التحول.

عندما صرحت (زيزفون) بأنّها "تأخرت في طرح السؤال" هذا يدل على شعورها بالندم أو الذنب على تأجيل التفكير في غاية الحياة. فهنا السؤال حول معنى الحياة يبدو قد تأخر، مما يعكس رغبة في إتمام شيء قد تم إغفاله و تأجيله سابقا.

إنّ صورة الجماعة من حول (زيزفون) و هم مرتبكون أمام الحدث، مما يشير إلى العلاقات الاجتماعية في لحظات الأزمة. فشعرت (زيزفون) بالحاجة إلى تعريف وجودها ضمن شبكة من العلاقات، كما يتعامل مع غياب الأخر في حالة الموت كما أنّ إقصاءها و إحساسها بالغياب أو الإقصاء من بعض المحيطين أشعرها بالعزلة النفسية أو الغربة الداخلية. فيتجلى هنا مفهوم "الذات ضد الأخر" حيث ان الشخص يعيد النظر في وجوده بعدما يحاط بحضور الآخرين المرتبكين من حدث محوري في حياته. فيتجسد هذا الاضطراب في رد فعل الآخرين، الذين "يستعجلون موتي" مما قد يعكس انفصالا عاطفيا أو عدم التفهم في التعامل مع المراحل الحاسمة في حياة الشخص.

اللحظة التي تحدثت فيها بطلة الرواية عن" عودتي إلى الحياة" تتضمن فكرة متناقضة نفسيا . فعودة شخص ما إلى الحياة بعد مرور حدث مهدد للموت. هذا التوتر يعكس شعورا بالتجدّد و الفرصة الثانية التي قد أتيحت(لزيزفون) للعيش، بعد مواجهة موتها أو فقدان جزء من ذاتها. فعودة (زيزفون) للحياة تمثل عملية إعادة البناء الذاتي الذي يحدث عندما يواجه الشخص تجربة حدية تفرض عليه إعادة تقييم ذاته.

"إكرام الميت في دفنه" يعكس الفهم الثقافي و الاجتماعي هنا حالة من الطقوس التي تخص الموت. حيث ان المجتمع يلتزم بتقاليد معينة، مثل دفن الميت بسرعة إكراما له و التي قد تكون آلية دفاعية لتخفيف الألم الناجم عن فقدان شخص. فعند القيام بتلك الطقوس (لزيزفون) سوف يجدون حتما نوعا من الراحة النفسية، و لكن هذا سوف يشعر البطلة بأنها

غير مرغوب فيها كذلك سوف يعكس ذلك أيضا نوعا من النفي أو التجنب لمواجهة المعنى الأعمق للموت.

(زيزفون) طرحت سؤال "ماذا أريد من الحياة ؟و هو ما يعكس تحولا نفسيا عميقا. يعكس ذلك تفاعل (زيزفون) مع الوجود و الموت على حد سواء، و يبدو أنّها لا تزال تبحث عن المعنى بعد أن طغت فكرة الموت على وعيها. أنها تبحث عن ذاتها وسط الأفق المجهول.

إنّ النص يعكس تجربة إنسانية عميقة، تجمع بين الصراع النفسي الداخلي أمام الموت والتساؤل الوجودي الذي يظهر في لحظات حاسمة من الحياة. بين حياة تتجدد في مواجهة الموت، و بين أسئلة تأخرت في طرحها، يكشف النص عن رحلة مستمرة للبحث عن المعنى المكبوت. هذه الرحلة لا تنتهي إلا حينما يكشف الفرد نفسه، ويعطي لحياته قيمة جديدة بعدما اقترب من حافة النهاية. ذلك أنّ "الكبت ضروري لنمو الشخصية السوية، ويستخدمه كل فرد بقدر محدود، فهنالك أناس يعتمدون عليه اعتمادا يبلغ حد استبعاد الوسائل لمواجهة التهديدات. ويقال عن هؤلاء الناس إنهم كابتون(أي دوافعهم مكبوتة). فاحتكاكهم بالعالم محدودة، وهم يدخلون في الروع إنهم منبوذون، متوترون، صارمون، متجسس عليهم."[72]

وفي هذا السياق، (فزيزفون)ظلت في رحلة بحث عن ذاتها، وعن توازنها بين الحياة والموت و بين الحضور و الغياب، لمواجهة حالة النبذ الاجتماعي.

هذا التأمل الوجودي ليس فقط دعوة للتفكير العميق، بل هو أيضا دعوة للعيش بوعي للاستفادة من الفرص التي يقدمها الزمن قبل ان تقتضي، ولإعادة تقييم الأولويات و الغايات في سياق حياة مليئة بالتحديات و التغيرات.

(فزيزفون) شاء القدر ان يكتب لها حياة جديدة، و بداية جديدة في قالب جديد.

---

[72]- كلقن هال، أصول علم النفس الفرو يدي، تر: محمد فتحي الشنيطي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، د.ط، بيروت، د.س،ص102.103.

شبهت (زيزفون) موتها كخيانة و بأنّه مغشوش لأنها لم تمت حقا، بل من كان حولها هم من تمنوا لها الموت و استعدوا للقيام بالطقوس الملائمة للميت، لكن عندما استفاقت من تلك الغيبوبة اندهشوا، و هذا ما يدل على تناقضات بين توقعاتهم و رغبتها في البقاء. و هذا الارتباك ليس مجرد رد فعل عفوي بل هو انعكاس لانكشاف نوايا غير معلنة و هذا ما نجده في قول (زيزفون):" لكن الموت الغشّاش الذي اختطفني، و أربكت عودتي إلى الحياة بعده أولئك الأشخاص الذين تحلّقوا حولي و كانوا يضمرون رغبة سرّية في موتي."[73]

وصفت (زيزفون) الموت بأنّه "غشاش"، حيث يظهر شعورها بالخداع و الخذلان من اقرب الناس إليها و لم تنتظر تلك الردود في الأفعال، ان الموت لا يرمز لنهاية طبيعية، بل إنّه مدخلا لكشف الأقنعة.

إما عندما صرحت بأن عودتها أربكتهم، هذا يدل على تناقض بين توقعات الآخرين و رغبتها في البقاء. هذا الارتباك ليس مجرد رد فعل عفوي، بل هو انعكاس لانكشاف نوايا غير معلنة: فتصرف من كان حولها و كأن الموت حدث، و عندما لم يحدث، كشف ما كان يخزن في اللاوعي الجمعي من رغبة دفينة في غيابك.

فتصوير (زيزفون) بأنهم" كانوا يضمرون رغبة سرية في موتي" يعبر عن إدراكها بالغياب وخيانة خفية أو إقصاءها من بعض المحيطين. هذا لا يعني بالضرورة أنهم تمنّوا الموت فعليا، بل إنّ قول(زيزفون) يترجم الإحساس بالعزلة و الغربة الداخلية التي شعرت بها من قبل و هذا ما يسمى بانكشاف الأقنعة.

الموت في قول البطلة ليس النهاية، بل "غشاش" و هو كشف الحقيقة والعودة إلى الحياة قرار نفسي بالاستمرار، بالرغم من خيانة الموت و خيانة العلاقات. هذه العودة تتضمن ولادة ذات جديدة، أكثر وعيا و اقل انخداعا، واشد تركيزا عليها.

[73])- سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون، ص29.

النص هنا هو تعبير عن ولادة هوية ثانية عبر موت كاذب، و هو انكشاف عميق لحقيقة الذات و العلاقات. فالموت هنا لا يقدم كفقد بل كمرآة نفسية، كشفت (لزيزفون) هشاشة الروابط الإنسانية و ازدواجية المشاعر المحيطة بها.

إنّ الاقتراب من الموت و العودة منه شكلت نقطة تحول نفسية دفعت (زيزفون) إلى إعادة تقييم محيطها و مكانتها داخله، و صورة الذات أمام الآخرين.

فالصدمة لم تكن في الموت، بل في الرغبة المستترة من بعضهم في حدوثه، ما خلق لديها شعورا عميقا بالخذلان و الانفصال النفسي.

ففي النهاية، يمثل النص رحلة من الإدراك المغيب إلى الوعي المؤلم، ومن الثقة الساذجة إلى البصيرة الحادة. هي رحلة نفسية شاقة، لكنها ضرورية لتحرير الذات من أوهامها و بداية ولادة نفسية جديدة أكثر وعيا، و حذرا و صلابة.

5-الأحلام بين الرغبة و التحقيق:

كانت (زيزفون) إنسانة طموحة رغم ما مر عليها من عقبات في حياتها، كانت تحلم وترغب في السفر كثيرا، و رؤية العالم، هذا من اجل أن تغير حياتها للأفضل و تكتشف عوالم وثقافات جديدة غير المعتاد عليها.

ففي احد الأيام، وهي تسمع إلى المذياع صوت المذيع الذي يذكر بعض أسامي و عواصم لبلدان عربية و أجنبية، سرحت في أحلامها و ازدادت رغبتها أكثر في السفر، و هذا ما عبّرت عنه في هذا القول:"كانت جملة تتكرر في كل المحطات تأخذني إلى عالم الحلم والخيال، هنا القاهرة، هنا دمشق، هنا لندن، وأنا ارسم في خلدي شوارع و حارات و بيوتا ومدنا و أناسا و اشرد في عوالمهم و حيواتهم التي افترضها في مخيلتي، و احلم بالسفر." [74]

[74])- سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون،ص39.

ذكر تلك المدن يحمل طابعا لا شعوريا، كما لو أنّ الذهن يعيد صياغة نداء داخلي أو صوت قادم من داخل النفس. و هذا يشير إلى رغبة (زيزفون) الغير مشبعة أو الحنين الداخلي الدائم، و البلدان التي ذكرت كانت في الحقيقة حلم البطلة.

إنّ الدخول في عالم الحلم و الخيال عند (فرويد) يسمى بآلية الدفاع عبر الإزاحة أو التسامي أي أنّ(زيزفون) عندما لم تستطع تلبية و تحقيق رغبتها و حلمها، عوض ذلك بالخيال. فهنا يكون تعبيرا عن الشعور بالعجز، الملل، عدم تقبل الواقع، و محاولة الهروب الذهني إلى ارض تلائم أحلام الشخصية.

"إنّ الغرض من الحلم عموما هو تحقيق الرغبة التي تساور الحلم، تلك الصورة المتناقضة؟.. هل نستطيع ان نعرف ان كانت هذه الطريقة الملتوية هي المتعة في سائر الأحلام،أم هي طريقة خاصة بهذا الحلم بالذات."[75]

رسم الشوارع و المدن و الناس في خلد و ذهن (زيزفون) يعبر عن طاقة تخيلية عالية، ففي الخيال كل شيء ممكن و مباح، ولا يمكن السيطرة عليه، أو تقييده، فالخيال محرر من كل القيود، فكل حياة يمكن تشكيلها كما يتمنى الفرد بعكس الواقع القاسي أو المقيد و هذا ما حصل مع (زيزفون).

إنّ السفر رمز للرغبة النفسية في التحول أو الهروب أو إعادة الاكتشاف. فالسفر مرتبط بالرغبة في الانفصال عن الذات الحالية، و الانطلاق نحو هوية جديدة.

أمّا عندما شردت (زيزفون) في عالمها الخيالي فهذا يشير إلى الشعور الداخلي بالوحدة أو الغربة. (فزيزفون) هنا تتواصل مع أشخاص غير موجودين بدلا من التفاعل الواقعي، مما يعكس عزلة وجدانية أو ربما خوفا من الواقع.

[75]- سيجموند فرويد، تفسير الأحلام، دار الهلال، مصر، د.ط، 1962،ص36.

إنّ قول (زيزفون) يعكس حالة من الحنين و الرغبة العميقة في الهروب من الواقع نحو عوالم مثالية تبنيها المخيلة. (فزيزفون) شخصية حساسة، حالمة، تستخدم الخيال كملاذ نفسي من قيود الواقع، و تعاني من شعور خفي بعدم الاكتمال أو الرغبة في الهروب.

الحلم بالسفر رمز لرغبة (زيزفون) في التغيير و العثور على ذات جديدة في أماكن أخرى.

في احد أيام الصيف تحقق حلم (زيزفون) بالسفر، عندما قرر والدها أن يأخذها لحضور معرض في الشام، غمرتها سعادة، فلم تتمكن من النوم طوال الليل و هي تتخيل شوارعها الواسعة و المحلات الكبيرة التي لا تخلو من شيء، رغم اعتراض والدتها لهذه الفكرة، لكن الأب لم يكترث لرأي الأم و أخذها معه إلى الشام.

و هذا ما نجده في هذا القول:" كانت رحلتي الأولى في حياتي و السفر الأول، و كان كل شيء مدهشا، لم انم ليلتها بانتظار الصباح الباكر فقد اخبرنا والدي أنّ باص الهوب هوب سيتوقف عندنا ليأخذنا قبل شروق الشمس، كنت فرحة بالثياب الجديدة و بالرحلة التي ستنقلني مباشرة إلى عالم الأعاجيب، إلى آخر الدنيا، و لقد كان إحساسي في أثناء الطريق إنّ الشام بالفعل هي آخر الدنيا، فقط كان الطريق طويلا."[76]

إنّ رحلة (زيزفون) و هي صغيرة بقيت مخزونة في اللاوعي، فهي تشير إلى نقاء العالم آنذاك، حيث ترى ان كل ما هو جديد هو عالم عجيب.

تعبر الشخصية عندما قالت"إلى آخر الدنيا" فهي رؤية طفولية للحدود، فالشام لم تكن مجرد مكان بل رمز للحلم و إشباع للخيال و الرغبة.

إنّ الفقرة مليئة بدهشة و الفرح و تحقيق الحلم. فتجربة تحقيق الحلم شكلت بذرة في اللاوعي تبقى في الذاكرة .

[76])- سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون، ص41.

6-الصمت كوسيلة للتواصل الداخلي:

عندما استفاقت (زيزفون) من غيبوبتها لم تكن تشعر بأنّها مريضة، بل اكتفت بالنظر إلى أسرتها التي كانت تنتظر موتها بشدة و هذا ما لم تكن تنتظره منهم، هذا ما دفعها للصمت واختلاط مشاعرها بين الإنكار و الاعتراف، وبين الثبات و الانهيار،(فزيزفون) لم تشعر بالألم بل كانت متعبة من محاولة فهم ما يجري من حولها، كان صمتها يكشف هشاشة موهمة بالقوة، و لامبالاة عندما قالت إنها لم تعد تبالي بتصرفاتهم، فصوتها الخفي لا يطلب الشفقة ولا تسعى للتبرير، لم تكن (زيزفون) تكره الحياة، بل تكره تلك الآلام التي عانتها في حياتها.

هذا ماتجلى في قولها:"بالرغم من أنني لا اشعر بأنني مريضة أو أنّ هناك خللا ما في كياني، لكنني لم املك سوى الصمت أمامهم وهم الذين ينتظرون موتي، اعرف هذا الأمر،بل أكاد اجزم بأنهم ينتظرون موتي منذ مدة ليست بالقصيرة.فليكن، ماهمني؟ أصلا أنا لا انتظر منهم ولا من الحياة شيئا، وهذا لا يعني أنني اكره الحياة أو كرهتها فيما مضى مع كنت أتمنى أحيانا أن اكرهها، لا لشيء إنما نكاية بنفسي التي لم تكن تعرف تحديد موقفها بالضبط."[77]

عبرت (زيزفون) هنا عن حالتها النفسية التي غلب عليها الانفصال العاطفي و الإرهاق الوجودي، مع شعورها بالخذلان من اقرب الناس إليها، و إحساسها بالوحدة رغم وجود كل من حولها. فهي لم تكن تشعر بالمرض بل حاولت إنكار ذلك، وهذا يعني رفض الفرد للاعتراف بالمعاناة و هذا ما يشير إلى التكيف كوسيلة للدفاع النفسي.

كان إحساسها بالرفض و الاضطهاد قوي وهذا عندما كانوا ينتظرون موتها، فشعرت بالعزلة و عدم الأهمية في نظرهم. و كانت خيبة أمل كبيرة بالنسبة لها عندما أشارت إلى "ما همّتي؟" فهذا تعبير عن الاستسلام و برودة الشعور.

[77]- سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون، ص،ص13.12.

كانت في صراع داخلي دائم بين الرغبة في الكراهية كنوع من المقاومة و الحماية النفسية وعدم القدرة على اتخاذ موقف واضح، ما يشير إلى اضطراب في التوجهات العاطفية و ربما ضبابية في الصورة الذاتية.

لم تكن تنتظر (زيزفون) من الحياة أي شيء و هذا ما عبّر عن فراغها الوجودي و إحساسها بالاكتئاب واضطرابات في الهوية.

يتجلى في قول(زيزفون) شعورها بالخذلان فحاولت أن تظهر تمسكها باللامبالاة و لكنها تعاني من حيرة داخلية و الم غير معترف به. هي ليست في حالة كره للحياة و إنما في حالة حيرة من الذات و هذا أكثر ما يصعب على الفرد تجاوزه.

(زيزفون) لم تعرف البوح، بل اختارت أن تبقى صامتة و تترك كل ما في أعماقها لا يعرفه احد سوى هي، لأنها عاشت طفولة مليئة بالآلام و الأحزان و لم تشعر يوما بأنها مرغوب فيها والدليل أنّ أمها لم تكن تصدقها ولا تكترث لأمرها، و لم تحسسها بأنها هي الملجأ الوحيد الذي يحس بها لكنها كانت دائما تعاتبها و تنمي في أعماقها آلاما و أحزان كثيرة.

فالعائلة هي أول حضن و أول معنى للامان. لكن (زيزفون) شعرت بأن هذا "الملجأ" هو نفسه مصدر ارتباك و خوف و خذلان. فليست كل الجراح ترى، فبعضها يختبئ في الذاكرة أو اللاوعي. (فزيزفون) اختارت الصمت كآلية دفاعية عن نفسها دون وعي. و هذا ما تجلى في قول زيزفون:"لا اعرف ما الذي حصل معي يومها لكن أعماقي كانت صامتة كتيمة كالصوّان، أمي تنهرني و تعيد عليّ كلمات التأنيب و أنا أمعن في صمتي، فما كان منها إلاّ أن صفعتني على خدّي. ضحك الشيخ عبّاس وقال: اتركيها، بعدها صغيرة بكرا تكبر وتصير تفهم. بقي اثر تلك الصفعة محفورا في قلبي إلى اليوم بكل الحرارة التي شعرت بها وهي تحرقني في وجهي وفي صدري." [78]

إنّ الصمت الذي انتاب (زيزفون) لم يكن مجرد غياب للكلام، أو مجرد سلوك عابر، بل كان تعبيرا لا واعيا عن الانسحاب الدفاعي، كرد فعل بعدم الأمان العاطفي. فيفهم الصمت هنا

[78]- سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون ، ص48.

كآلية دفاعية لاواعية التي يستعملها الفرد في مواجهة كل الآلام النفسية أو عند الشعور بعدم الأمان. فيمكن اعتبار الصمت نوعا من الكبت أو الانسحاب.

اتخذت (فزيزفون) الصمت لتحمي نفسها من العالم القاسي كي لا تتأذى أكثر. و اختارت الانسحاب و العزلة و التأذي لمفردها أفضل ان تشعر بالأذى أكثر.

فصمت و(زيزفون) كان خوفا من أمها و عدم شعورها بالأمان وسط من كان حولهافالشيخ عبّاس لم تكن كلماته كافية لتضميد الجرح، و غياب التدخل الفعّال منه و من أمها اشعر (زيزفون) بالعزلة، و يكرّس قناعتها ان مشاعرها غير مرئية أو غير مهمة.

أمّا الصفعة تتحول من فعل جسدي إلى رمز نفسي، يغرس في الذات شعورا دائما بالذنب أو بعدم الاستحقاق. فالصفعة التي تلقتها (زيزفون) من أمها ما سبّب ضعف ثقة العلاقة، و هذا ما يعمّق الشعور بالرفض و يشوه الإحساس بقيمة الذات.

ففي لحظة العجز، يصبح الصمت هو اللغة الوحيدة التي نفهم بها أنفسنا. فالصمت هو حضور مكثفا للشعور. (زيزفون) لجأت إلى الصمت لأنها لم تجد من يفهمها في الخارج والعالم الواقعي، فاختارت أن تحاور نفسها بدلا من ان تحاور من كان معها.

خاتمة

توصلنا من خلال هذا البحث إلى جملة من النتائج الجوهرية التي تعكس أهمية التوظيف المنهجي للتحليل النفسي في مقاربة الأعمال السردية المعاصرة، إذ بين لنا هذا المنهج قدرته على تفكيك البنى النفسية العميقة للشخصيات، و كشف صراعاتها الداخلية خاصة تلك الناتجة عن التوتر الدائم بين الفرد و مجتمعه. كما قادنا هذا التحليل إلى اكتشاف رواية جسّدت بعمق معاناة المرأة العربية المعاصرة و سلّطت الضوء على استمرارية التهميش الذي تتعرض له من قبل السلطة الذكورية و المؤسسات الاجتماعية التقليدية. قد أظهرت الرواية بوضوح ان الكتابة، في سياقها النفسي و الاجتماعي تمثل فعل مقاومة، وأداة لمواجهة أشباح الماضي و أزمات الحاضر، حيث تعد الكتابة وصفا لممارسة علاجية وتحريرية في آن واحد، تمكن الذات من إعادة تشكيل هويتها و تجاوز ماضيها المثقل بالآلام. فالكتابة وفقا لهذه المقاربة، لا تقتصر على كونها وسيلة للتعبير، بل تتجاوز ذلك لتصبح أداة مقاومة ضد النسيان.لا سيما في ظل الظروف المعقدة التي خلّفتها الحرب السورية، و التي أسهمت في إنتاج واقع مأزوم على مستويين الفردي و الاجتماعي.

كذلك تظهر الرواية كمساحة للبوح و التعبير و إعادة ترتيب العالم الداخلي، في محاولة لفهم الاضطراب النفسي الذي يولد الحزن، الكبت، الآلام، الصراعات النفسية، العقد...الخ.

ومن هذا المنظور، يمكن القول إنّ النص السردي يعكس في بنيته العميقة تجربة وجودية و نفسية معقدة، تمثل المرأة فيها نقطة تقاطع بين الذاتي و الجمعي، بين الذاكرة الفردية و الذاكرة الجماعية، و بين جراح الماضي و أزمات الحاضر.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

المصادر:

1. سوسن جميل حسن، اسمي زيزفون، منشورات الربيع، القاهرة، ط1، يناير، 2022.

المراجع:

2. توما جورج خوري، نظرة في أعماق الشخصية، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، ط01، 2010.

3. جينز بروكمبير، دونال كربو، السرد و الهوية دراسات في السيرة الذاتية و الذات و الثقافة,نر:عبد المقصود عبد الكريم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط.1، 2015.

4. حياة أم السعد، الذاكرة في السرد أزمنة الحروب والمنافي والكراهية، منشورات ميم الجزائر، ط01، 2023.

5. دوريت كون، الشفافية الداخلية أشكال الحياة النفسية في الرواية ،تر:د قاسم مقداد، دار نينوى، سوريا، ط.1، 2022.

6. الرحمان جيران، علبة السرد النظرية من التقليد إلى التأسيس، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، ط01، 2013.

7. روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية ، تر: محمد الربيعي ، دار غريب ، القاهرة ، د.ط ، 2000

8. سارجنت، علم النفس الحديث، تر: منير البعلبكي، دار التعليم للملايين، بيروت، د.ط،1984.

9. سوزان سونتاغ، كما يسخّر الوعي بالجسد، تر: عباس المفرجي، دار المدى العراق، ط01، 2016.

10. سيجموند فرويد، تفسير الأحلام، دار الهلال، مصر، د.ط، 1962.

11. شاكر عبد الحميد، مدخل إلى الدراسة النفسية للأدب نظريات و تطبيقات،الدار المصرية اللبنانية،القاهرة،ط.1،2017.

12. عبد 14.لويس هايد، أدب النسيان ثقافة تجاوز الماضي، تر: جوهر عبد المولى،منشورات وسم، د.ط، دس.

13. عبد العزيز جادو، الشعور و اللاشعور عند فرويد ،ادلر، يونج، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية، د.ط ، د.ت ن .

14. فاخر عاقل، أصول علم النفس و تطبيقاته،دار العلم للملايين، لبنان، ط1، 1973.

15. كلفن هال، أصول علم النفس الفرو يدي، تر: محمد فتحي الشنيطي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، د.ط، بيروت، د.س،ص102.103.

16. مارياتاتار، البطلة بألف وجه ووجه، تر : عدنان حسن، دار نينوي سورية، ط01، 2023.

الفهرس

الفهرس:

شُكر وتقدير

إهداء

مقدّمة .....أ

الفصل الأوّلتحديد المفاهيم 3

1-تعريف الشخصية:.....4

1-1الشخصية في علم النفس:.....5

1-2مقومات الشخصية:.....6

1_2_1-نظرية "سيغموند فرويد" 1856-1939 "SIGMUND" FREUD" 6

1_2_2-نظرية " كارل يونج" 1875-1961 CARL JUNG.....7

1_2_3-نظرية " كارل روجرز " 1902-1987 CARL ROGERS.....8

2-الشخصية و مفهوم الشعور: 9

3-انفصام الشخصية و امراضها:..... 11

3_1امراض الشخصية:..... 11

3-2العقدة النفسية و مركبات النقص:..... 15

4-الشخصية والمجتمع: 17

5 – معايير الشخصية:..... 19

6–الشخصية والآخر:..... 20

7–الشخصية في الأدب:..... 21

8–الشخصية و الخيال:..... 24

9–التعبير الرمزي عن الخيال: 25

10–الأدب و تيار الوعي: 26

11–تصور الشخصية في تيار الوعي: 26

12–مستويات تيار الوعي..... 28

13–أدب تيار الوعي: 29

14_خصائص أدب تيار الوعي 32

14–1 المونولوج الداخلي: 32

14–2المونولوج المستقل:..... 37

14–3المونولوج الاستذكاري:..... 38

14–4المونولوج المنقول: 40

15–المونولوج و الخطاب:..... 42

16–السرد النفسي: 46

الفصل الثاني تحليل الرواية 49

ملخص للرواية: 50

مدخل: 52

1-سيكولوجية الألم النفسي عند الشخصية: 53

1-1الألم النفسي و الروحي: 53

1-2الألم الجسدي: 59

2-الاسم و أزمة الهوية: 61

2-1الأسماء أقنعة: 62

2-2هوية الذات: 64

3-معاناة ان تكون امرأة: 66

3-1بوح امرأة على ورق: 70

3-2ذاكرة لا تعرف النسيان: 73

4- بين قلب ينبض و قبر ينتظر: 76

5-الأحلام بين الرغبة و التحقيق: 80

6-الصمت كوسيلة للتواصل الداخلي: 83

خاتمة 86

ملخص:

يدور البحث حول أشكال التمثيل النفسي للشخصية في رواية (اسمي زيزفون) وقد توقفنا عند أشكال المعاناة النفسية لبطلة الرواية، ولا سيما التهميش الذي عانت منه، كما أبرزنا دور الكتابة في تجاوز هذه المعاناة .

الكلمات المفتاحية:

النفس، الشخصية، المعاناة، المونولوج، تيار الوعي.

Le sujet de la recherche porte sur les formes de représentation psychique du personnage dans le roman «ISMI ZIZFON » Nous nous sommes arrêtés sur les différentes formes de souffrance psychologique de l'héroïne du roman, notamment le sentiment d'exclusion dont elle a souffert. Nous avons également mis en lumière le rôle de l'écriture dans le dépassement de cette souffrance.

Mots clés :

Personnage, souffrance, monologue, courant de conscience.